

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والستين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٢٦ - الموافق ١٨ شوال سنة ١٣٤٤

حاسة الشم وفلسفتها

او كيف نشم

الحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس يعلمها كل احد ولكن قل من يدرك كيف يسمع وكيف يبصر وكيف يشم وكيف يذوق وكيف يلمس كما يدرك كيف تحرث الارض وكيف تبني البيوت . والعلماء الذين بحثوا في وظائف الاعضاء عرفوا مثلاً كيف يدخل النور المنعكس عن المرئيات الى العين ويمر في عدسيتهما ويرسم صورة المرئي على اعصاب الشبكية التي في باطن العين فتتأثر هذه الاعصاب باهتزاز امواج النور وينتقل تأثرها الى مركز البصر في الدماغ فيدرك العقل شكل المرئي ولونه . وفسروا السمع والذوق واللمس بما يقرب من ذلك . واما الشم فلم يتفقوا على كيفية حدوثه

تضع حبة من المسك في غرفة فتشم رائحتها في تلك الغرفة يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى وهي لا ينقص ثقلها شيئاً محسوساً . ولا تفوح رائحتها في هواء الغرفة كل هذا الزمن الا اذا خرج شيء منها كل يوم وكل ساعة فانتشر في هواء الغرفة المتجدد حتى امكن وصوله الى الانف . فما هو هذا الشيء الذي يخرج من حبة المسك ؟ اغاز صادر منه ام اهتزاز في الاثير كالاhtزاز الذي تنقل به امواج النور وامواج الكهربية . هذا ما لم يتفق عليه العلماء حتى الآن لانه لا يزال من الفروض ولم يدخل دائرة البحث العلمي لان ليس للشم عمل كبير في اعمال الانسان في هذا العصر كما للبصر والسمع مع ان له في حياته الداخلية شأنًا كبيراً يفضل على البصر والسمع كما سيبي

والشم اقدم الحواس كلها ما عدا اللمس فلا يخلو منه حيوان مهما انحط نوعه . وجهازه بسيط جداً وهو خلايا عصبية الشكل فيها تضخم يبضوي تنتهي باهداب دقيقة ويمتد منها من الجهة الاخرى خيوط عصبية تتصل بعصب الشم الواصل الى مركزه في الدماغ . وهذه الخلايا محصورة في الانسان في مساحة ضيقة لا تزيد على بوصة مربعة في باطن انفه يتصل الهواء الذي يتنفسه الى اهدابها السائبة فيؤثر فيها . وهي في الكلب تملأ مساحة اوسع وفي الحوت الكبير مساحة اضيق . اي ان جهاز الشم يتسع ويضيق على نسبة حاجة الحيوان الى الشم . فيكون في ذوات الاربع اوسع منه في الحيتان ويختلف محله فهو في النحل في قرونها او زباناها وفي صفارة البحر في جلدها . وبنائوه واحد ابنا كان اي انه مؤلف من خلايا عصبية في كل منها انتفاخ يبضوي ولها اهداب من طرف ويمتد منها خيوط عصبية من آخر وبينها خلايا ملونة طرفها السائب عريض منبسط والطرف الآخر يمتد منه خيوط عصبية الى عصب الشم كما نرى في هذا الشكل

وجهاز الشم على بساطته كاف للتمييز بين الروائح المختلفة ولو لم يصل اليه منها الا



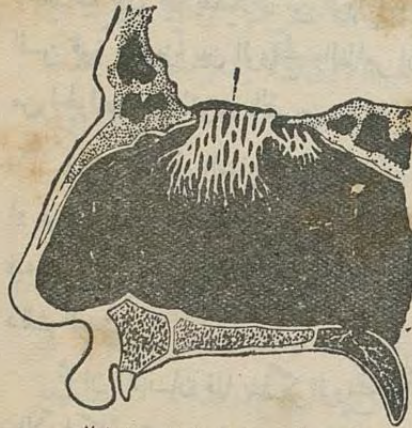
ا وج خليتان عصبيتان من خلايا الشم تنتهيان باهداب دقيقة . وب خلية ملونة

شيء طفيف جداً . فيشم رائحة المسك ولو كان مقداره جزءاً من الف مليون جزء من الغرام . ويشم رائحة المركبتان Mercaptan الخشبية ولو كان مقداره جزءاً من خمسين مليون جزء من الهواء فيكون حينئذ في كل خمسين سنتيمتراً مكعباً من الهواء اي فيما يدخل الانف عند كل تنفس جزء من اربعمائة الف مليون من الغرام . واذا وقع شيء من الفساد في هواء غرفة سهل الشعور به بالشم ولو تعذر اكتشافه بادر الكواشف الكيماوية

ثم ان الدقة ليست الصفة الوحيدة التي يتصف بها الشم بل هو يميز بين الروائح المختلفة على كثرة عددها ولو لم يكن في اللغة اسماء لها

وقد حاول السر وليم رمزي الكيماوي المشهور ان يجد رابطة بين رائحة المادة وتركيبها لكي يعلل تأثير الرائحة بفعل كيماوي في عصب الشم فوجد شيئاً من الارتباط بين الرائحة وثقل المادة الجوهري ولكن هذا الارتباط غير عام لان مواد كثيرة رائحتها واحدة

وتركيبتها الكيماوي مختلف فالمسك الطبيعي والمسك الصناعي رائحتهما واحدة ولكن تركيبتها الكيماوي مختلف . والحامض البروسيك رائحته مثل رائحة النتروبنزول وهما مختلفان تركيباً . ولما وجد علماء الفسيولوجيا انه لا يمكن تعليل الرائحة بفعل كيماوي ينجثوا عن تعليل طبيعي لها فقالوا ان دقائق الجسم المشموم تكون متحركة حركة ارتجافية سريعة مثل كل دقائق الاجسام التي حرارتها فوق درجة البرد المطلق وهذه الحركة لتصل بالهواء الجاور لها فتكون فيه امواجاً كما يموج الماء بوقوع حجر فيه فتصل هذه الامواج الى الانف وتصيب اهداب خلايا الشم فتترجّب بها كما ترتجّب طبلة الاذن بامواج الصوت ويمتد هذا الارتجاج من الخلايا المشار اليها الى عصب الشم والى مركزه في الدماغ . فتكون حركة دقائق المادة ذات الرائحة بمثابة الامواج



الكهربائية التي تنقل بالاثير في التلفراف اللاسلكي والفرق بينهما ان امواج الكهربائية واسعة نقاس بالامطار وامواج الرائحة ضيقة جداً اضيق من امواج النور . وامواج كل مادة تختلف عن امواج غيرها فيميز مركز الشم بينها كما يميز مركز السمع بين الاصوات المختلفة

باطن الانف وفي اعلاه خلايا الشم

لكن هذا التعليل على بساطته لا ينطبق على كل ما له رائحة . فان حركة دقائق

الحامض البروسيك مثل حركة دقائق بخار الماء ولكن رائحة الواحد ليست مثل رائحة الآخر فبخار الماء لا رائحة له واما الحامض البروسيك فله رائحة شديدة مثل رائحة اللوز المر . فلا تعلل انواع الروائح كلها بالتعليل الكيماوي ولا بالتعليل الطبيعي ومن المحتمل ان يكون التعليلان صحيحين ولكن بعض الروائح يجري على التعليل الواحد وبعضها على التعليل الآخر

ثم ان للخلايا الملونة التي بين الخلايا ذوات الاهداب شأناً كبيراً في الشم على ما يظهر لانها كبيرة وكثيرة المادة الملونة في الحيوانات الشديدة الشم كالكلب والغزال وصغيرة وقليلة المادة الملونة في الحيوانات الضعيفة الشم كالقطة ومعدومة في الحيوانات المصابة

بالبرص^(١) فلا تشم إلا قليلاً وهذا يعلمه رعاة الغنم فلا يقتنون الخرفان المصابة به لأنها قلما تميز النباتات السامة فتأكلها وتموت . ولهذا تكون حاسة الشم في السود والسمراشد منها في البيض لأن المادة الملونة تكون فيهم أكثر منها في البيض . وتزيد حاسة الشم بالتقدم في السن لأن المادة الملونة تزيد حينئذ في هذه الخلايا

ثم إن حاسة الشم من الحواس التي تقوى بالتمرين ولكننا لا ننبيه لذلك لأننا نرى حاسة البصر وحاسة السمع تضعفان بالتقدم في السن فلا يخطر لنا أن حاسة الشم تقوى حينما تضعف تانك الحاستان . ولكن ظهر بالبحث أن إدراك الطفل للروائح يكون ضعيفاً ثم يزيد رويداً رويداً إلى أن يبلغ السنة الرابعة عشر وحينئذ يظهر فرق كبير في قوة الشم بين الذكر والانثى فتكون حاسة الشم في الانثى أقوى منها في الذكر . ويقع بينها اختلاف بين فيما يفضلان من الروائح ولا يعلم سبب ذلك . وتزيد حاسة الشم بالتقدم في السن قوة وتميزاً بين الروائح والظاهر أن السبب الأكبر لذلك زيادة الاعتماد عليها فهي من الحواس التي تقوى بالتمرين

وللشم فعل في العقل الباطن كما له فعل في العقل الظاهر . يشم الإنسان رائحة وردة أو قرنفل فتنبه فيه تذكارات قديمة تذكارات حب أو بغض كامنة في عقله الباطن أو تهيج فيه عواطف وامياً لا يعرف مصدرها . ويدخل بيتاً عتيقاً فيشم فيه رائحة تجعله يكره ذلك البيت

ثم إن الإنسان قلما يتذكر الروائح إلا إذا شمها . قل له ما هو شكل القرنفل فيتنصور حالاً شكلاً وقد يستطيع رسمه على القرطاس ولكن قل له ما هي رائحته فلا يتصورها ولا يستطيع أن يعبر عنها مع أن اثر الرائحة يكون في ذهنه وحالما يشمها يتذكر أنها رائحة القرنفل . وقد يتذكر أيضاً أموراً كثيرة لها علاقة بالقرنفل . وقد استعمل ذلك في تذكير الشهود عند البحث في تحقيق الجرائم . ومن المرجح أن يزيد البحث العلمي في حاسة الشم فتكشف فيه أمور كثيرة غير معروفة

ومن الحقائق المعروفة أن الإنسان لا يشعر بالرائحة ما لم يتنفس فقد يمتلئ مغزاه بماء الكولونيا أو بهواء مملوء من غاز الهدروجين المكبرت الخبيث الرائحة ولا يشعر برائحة ما لم يتنفس وأما إذا تنفس فإن الهواء يدخل أنفه بعزم ويحمل الرائحة ويصدم بها

(١) البرص Albinism حالة طبيعية يبين فيها الجلد والشعر والعينان

اهداب خلايا الشم . ويجب ان يكون سطح الانف مرطباً حتى يشعر بالشم فاذا كان جافاً او مغطى بطبقة سميكة من المخاط فانه لا يشعر بالرائحة . وتكون رائحة المشموم على اشدها في اول الامر ثم يقل الشعور بها فاذا شممت وردة او قرنفل في اول الامر تجد الرائحة شديدة وبعد مدة نقل رويداً رويداً وهذا يكون في الرائحة الخبيثة كما في الطيبة

واذا دخل المخزن روائح مختلفة لم تمتزج معاً بل شعر الانسان برائحة منها ثم بغيرها . ونقل حاسة الشم بالمورفين اذا استنشقه الانسان مع السكر وتزيد قوة اذا استنشق الاسكرينين . ولا دليل على ان لكل رائحة اهداباً خاصة بها في خلايا الشم ولكن قد ينبع جهاز الشم برائحة من الروائح فيبطل شعوره بغيرها مدة . فرائحة الكافور مثلاً تبطل الشعور برائحة الاثير او رائحة الكولونيا . واذا ادخلت رائحة بانبوب الى احد النخريين ورائحة اخرى بانبوب آخر الى النخر الآخر فاما ان يشعر المرء برائحة ممتزجة من الرائحتين او تقوى احدى الرائحتين على الاخرى فيشعر بالاولى ولا يشعر بالثانية ويحدث ذلك في مركز الشم في الدماغ . ومن الروائح ما يبطل غيره كالمسك وزيت اللوز او كالمونيا والحامض الخليك وفي ذلك يقول الشاعر اذا حق ان نسمي قوله شعراً

واذا ادنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل

والشم في كثير من الحيوانات الدنيا اشد منه في الانسان ومن المرجح ان الكلب والقط يدركان بحاسة الشم ما لا يدركه الانسان بها . والظاهر ان الروائح تؤثر في كثير من الحيوانات تأثيراً كبيراً والمرجح انها نتذكر الروائح وهذا مما لا يستطيعه الانسان كما تقدم

ومما يذكر من نوادر الشم ان ولداً ولد اعمى واطرش واخرس فكان اعتماده على الشم وكان اذا دخل بيته رجل غريب ادرك وجوده بحاسة الشم وقد يدرك اوصافه بهذه الحاسة . وبعض الناس لا يشمون والذين يكثرون من استعمال السعوط يضعف شمهم وكذا الذي يكثرون التدخين وقد يشم الانسان رائحة لا وجود لها كما يتخيل خيالات لا وجود لها ويسمع اصواتاً غير موجودة

الصحافة الشرقية في خمسين سنة

لكتابة التاريخ اساليب شتى اهمها اثنان الاول ما يدور معظمه على محور الاشخاص واعمالهم الخاصة والثاني ما يدور على محور الحركات العامة والنهضات . وكل من هذين الاسلوبين انصاره ومميزاته وقد كان اولهما المعول عليه في كتب التاريخ العتيقة غير ان هذا الاسلوب اخذ يتحول تدريجاً الى الاسلوب الآخر حتى ان انصار هذا يعتقدون ان الحركات العامة والنهضات وتهميؤ الام لها واستعدادها للتحول والتغير — ان هذه العوامل هي التي تنشئ العامل الشخصي او تظهره بعد الكون. فاذا لم تتوافر فقلما يحتاج للاشخاص ان يخلدوا اسماءهم في تاريخ العالم مهما اوتوا من الدهاء ومهما رزقوا من المؤهلات . ومع ان هذه النظرية لا تخلو من شيء من الغلو والمبالغة فانها بالاجمال صحيحة تطابق نتيجة الاختبار المعبر عنه بالمثل العربي القائل ان الحاجة تفتق الحيلة والمثل الافرنجي الشائع وهو ان الحاجة ام الاختراع .

قدمت هذه المقدمة الوجيزة توطئة للبحث في موضوع هذه الرسالة فان من يحاول ان يكتب تاريخ الصحافة الشرقية في نصف القرن الماضي قد يتوسل الى بلوغ قصده بايراد اسماء الصحف والمجلات التي اسست في ذلك القدر من الاعوام وما تقدمها منها ومرد شيء من سير مؤسسيها وكبار كتابها ومنشئها وغير ذلك من المعلومات الخاصة بها . ومع ان بياناً كهذا لا يخلو من لذة وفائدة فانه لا يسمو الى مرتبة النظر في التحول الذي طرأ على هذه الحركة الادبية والسياسية والعلمية العامة التي كان لها مقام عظيم في نهضة الشرق الحديث وهو المقام الذي اعتزت به في الغرب حيث لقبها ستفان لوزان «بصاحبة الجلالة» ولقبها غيره بالقباب اخرى للدلالة على نفوذها وهيبتها واحترام الرأي العام لها

وقد صيغت الصحافة الاخبارية الناس منذ نشوئهم فتقلبت على وجوه شتى كان اولها نقل الاخبار ووصف المعارك وايراد الحوادث وذكر المفاخر والمآثر بالاشعار والنقوش فالياذة هوميروس وقصة الخلق وحكاية الطوفان وما نقش على الآثار المصرية الخالدة — كل هذا وسواه انما كان من مظاهر هذه النزعة الطبيعية التي تجلت في عصرنا هذا بالصحف اليومية والمجلات الدورية والتي استعين على اعدادها ونشرها بمعدات واختراعات لم يكن اسلافنا يعرفونها ولو ان كثيرين منهم تخيلوها وتاقوا اليها ولو ان بعضاً منهم انبأ بها قبل ان تظهر في عالم الوجود بعشرات من القرون

وقد لاحظ علماء العمران والباحثون في طبائع الامم ان نقل الاخبار واداعتها صفة ملازمة للناس في بداوتهم وحضارتهم وكان الرواد والسياح يستغربون ما يشهدون في البادية من سرعة نقل الحوادث والاقوال مع بطء وسائل النقل والانتقال ولا يزال بين قراء المقتطف من يذكر كيف ان اخبار الغزوات والاستعداد للحروب كانت تذاع باسراع التيران على الآكام والمرتفعات ليراهها سكان القرى ويتأهبوا للنزال والصدام غير ان عمر الصحافة بشكلها الحاضر واخراج الصحف في مواعيد دورية معينة وفي اوراق مطبوعة لا يتجاوز في الشرق مئة عام وكان مهد الصحافة الشرقية في مصر وهي مهد كثير من العلوم والفنون فقد روى التاريخ الحديث ان الحملة الفرنسية بقيادة بوناپرت انشأت في مصر جريدتين بالفرنسية احدهما «الكوربايه دييجت» والاخرى «الدكاد اجبسيان» فلما افل كوكب سعد الفرنسي بين في هذه الديار ونظم محمد علي محيي مصر الحديثه ومنشئ نهضتها العظيمة الاحكام والدواوين انشأ جريدة الوقائع المصرية بالعربية والتركية فصدر العدد الاول منها في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٢٨ وكانت جريدة الحكومة الرسمية ولا تزال كذلك. غير انها في الشطر الاول من حياتها الى الربع الاخير من القرن الماضي كانت تنشر مقالات ادبية ومباحث سياسية باقلام نفر من نوابغ المصريين لا يزال بعض منهم على قيد الحياة

ولكن الصحافة الشرقية ما كانت لتقوم لها قائمة لولا انتشار العلم والمعرفة في بلدان الشرق الادنى بما فعله محمد علي وما صنعه فريق من فضلاء الاجانب الاوربيين والاميركيين فانهم اضافوا مصباح العلوم بعد ما كاد ينطفئ واسسوا المدارس الراقية على شواطئ البحر المتوسط فنشأ بهذين العاملين في مصر وسورية طائفة متعلمة اتصلت بالغرب ووقفت على اسباب تقدمه وناقت نفوسها الى مجارة الغربيين واقتفاء اثرهم فعمد افرادها الى التأليف والتصنيف والنقل والترجمة والبحث والتحقيق. وانما نوهت بمصر وسورية لانهما كانتا اشد بلدان الشرق الادنى اتصالاً بالغرب اذ كانتا صلة الاتصال التجاري والجغرافي والعلي بين اسيا وافريقية واوربا فاتجهت اليهما انظار العاملين من الغرب كما اتجهت اليهما ابصار الفاتحين من قبل ومن بعد. وكان من جراء ذلك ان بعض مجلاتنا الشهيرة ولد في هذه المعاهد العلمية الكبيرة وكان ثمرها من ثمارها المباشرة كالمقتطف والشرق او ثمارها غير المباشرة كالهلال وغيره.

وقد كان ارتفاع الصحافة في الشرق الادنى تابعا لثلاثة عوامل ومنذ غمها فيها واولها

تمزيق حجب الامية والثاني تخفيف قيود الحكم المطلق والثالث استمرار بقضة روح القومية وتعزيز اصوله في النفوس والاذهان . فمن يقابل كثرة ما يطبع الآن من الكتب والمجلات والصحف المختلفة الاوضاع والمقاصد والسياسات وسعة انتشارها بما كانت عليه الحال من خمسين عاماً يتبين له فعل نشر اصول القراءة والكتابة وشيوع التعليم فقد كان القراء في ذلك الحين يعدون بالمئات في كل قطر من هذه الاقطار وهم اليوم يحصون بعشرات الالوف

اما مهمة تحطيم قيود الحكم المطلق فكانت اثقل على الصحف من هذه لانها كانت تمسها مباشرة فكان الصحفيون يسجنون ويقتلون ويشردون وينفون لاسباب نراها اليوم تافهة وكانوا يستهدفون لصنوف العذاب وانواع البلوى علاوة على ما يعانونه من شظف العيش وقلة العطف ولكن تلك النفوس الكبيرة ما برحت تجاهد وتناضل غير مكترثة لما يصيبها من ضرر وما يلحق بها من اذى فكانت اصدق ترجمان لهذه النهضة التي نهضتها شعوب الشرق لتتحرر وتعيش في جوفتي فيصبح للباحث ان يقول ان تاريخ الصحافة الشرقية ما فتى دليلاً على سير روح النهضة القومية وان الصحافة كانت بحكم تعبيرها عما يجامر النفوس من هذا القبيل من اعظم العوامل في تعزيز هذه النهضة واداء موعده لنضج ثمارها . ولا يزال تاريخ الصحافة في تركيا مثلاً للعيون وما قاساه الصحفيون العثمانيون من الترك والعرب وخصوصاً في عهد السلطان عبد الحميد معروفاً للذين خبروه بانفسهم ككتاب هذه السطور او الذين سمعوا وصفه من عارفه . ولم يكن نصيب الصحافة من ذلك غير نصيبها في الغرب في عهدها الاول وتاريخ انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا طالع بهذه الحوادث ولكن النتيجة في الحالتين كانت واحدة كما ان الاحوال والعوامل التي ادت اليها كانت متماثلة ولا غرو فالناس اكفاء ابوم آدم والامثله

فالعوامل الخارجية التي كان لها شأن في سير الصحافة وهي تصهر في بوتقة التجارب والحن والاضطهاد والاستبداد آلت الى تقويتها وترقيتها اي الى عكس ما كان معارضها يشتهون فادركت الحكومات الشرقية ما سبق ان ادركته الحكومات الغربية قبلها وهوان الصحافة صارت من لوازم العمران . ومع ان الحكماء ما يرحوا يعتقدون ان هذه الاداة الجديدة شر لا بد منه فان السلطات ادركت قوتها ونفوذها وصارت تستعين بها على الاتصال بالهيئات المحكومة وتخذ منها لسان حال وتوسل بنفوذها وانتشارها الى الابضاح والبيان وتقرير ما تريد تقريره في الاذهان حتى لقد افراط بعض الحكومات في ذلك

نفعده الى شراء الصحف وافساد ضمائرهما بالاموال وغيرها مما لا اطيل فيه الكلام لانه خارج عن نطاق هذا البحث

اما العوامل الداخلية فقد اخذت تحولاً كبيراً كان له تأثير عظيم في الصحافة والمقام هنا يضيق دون استيفائها لكثرة ما تقتضيه من الشرح والبيان لاصول الصناعة واسرارها فقد كان المؤلف اولاً ان يكون صاحب الجريدة منشئها روحها روحه وقولها قوله وهي تسير في عملها باشرافه المباشر ولكن اعمار الصحف الحية تتجاوز اعمار منشئها فكان من جراء ذلك الاتجاه الى تغيير انظمة الانشاء والتحرير والادارة في الصحف واتقلاب بعض منها من ملك شخصي يتولى ماله ادارة الفعلية الى شركات خاصة او مساهمة او هيئات سياسية ومالية وهذا امر كثير الشيوع في بلدان الغرب حيث تحتاج الصحف الى رؤوس اموال طائلة تحصى بمئات الالوف من الجنيهات ومع ما في هذا الانقلاب من وجوه للنقد والاعتراض يضيق المقام دون سردها فلا مندوحة عنه للسبب المتقدم ولاسباب مالية وصناعية وتجارية ولكن نتيجة الكبرى احلال العامل الاجمالي محل العامل الشخصي في الجريدة او المجلة وله مميزات لا يستهان بها وربما كان اظهر ما فيه انقطاع الصلة الشخصية بين منشئ الجريدة وجمهور قرائه لان الصحف في الغالب نتيجة جهد عشرات من الكتاب والمنشئين يندر ان يعلم القراء نصيب كل منهم من مظهر العمل الذي يقع تحت انظارهم ثم ان اتحاد هذه العوامل الخارجية والداخلية وزيادة الثروة في بلدان الشرق واتساع نطاق التجارة والصناعة والاعمال المالية فيها — كل ذلك آل الى توسيع نطاق مباحث الصحف وتمكينها من زيادة موادها . وحسب المرء ان يقابل صحف مصر الكبرى ومجلاتها الراقية كما هي اليوم بما كانت عليه منذ ٢٥ عاماً فقط فان زيادة الانتشار وزيادة عدد المتعلمين واقبال التجار والصناع واصحاب الاموال على الاعلان في الصحف وامكان اتصال الصحف الى قرائها على جناح السرعة مكنتها من زيادة عدد صفحاتها وحملتها على الاستعانة بالآلات الحديثة لطبعها باقصر وقت مستطاع وجلب الاخبار بالتلغراف السلكي واللاسلكي والبريد والتلفون من الداخل والخارج واستخدام الكتّاب الماهرين والاكثر من الخبرين والمكتابين اذ لا ريب في ان مهمة الصحف الاولى والكبرى هي موافاة قرائها بالاخبار الصحيحة الهامة وان يكون ذلك على جناح السرعة . ولا يسع من يطالع صحف مصر الكبرى وصحف الاستانة الا الاعجاب بما استطاعت في ربع قرن من هذا القليل علاوة على ارتفاع مباحثها وقلة اعتمادها على ما تقتبسه من الصحف الاجنبية التي كانت من

اعظم المصادر التي يعمل عليها في ما ينشر في الصحف الشرقية قبل النهضة الاخيرة . فان فلاح هذه النهضة بفروعها العديدة في بلدان الشرق وانتشار العلم وازدياد عدد المفكرين والذين يعنون بالمباحث التي تهتم الشعوب فتح لصحفنا مجالاً جديداً يكاد يستغرق جهدها الاكبر وقد كان للصحافة اعظم فضل في صون اللغة العربية وانتشالها من الوهدة التي هوت اليها في عصر الظلمة والانحطاط وكان لها يد تذكرو في اظهار مرونة هذه اللغة وانعاشها لتعاشي تقدم الحضارة في جميع ميادينها الادبية والسياسية والعلمية والصناعية فازدهت العربية بها ولبست ثوباً قسبياً بهياً ورسخت اصولها وصدت هجمات اللغات الاجنبية ولا بد للباحث هنا من الاشارة الى تحول جديد شهدنا مقدماته في هذه الاعوام الاخيرة وهو نشوء الصحف المصورة سداً لحاجة ظهرت على اثر شيوع السينما عندنا فان هذه الصور لغة المتعلم والاممي على السواء وفيها من المعاني ووسائل سرعة الادراك ما لا يتاح للكلمة المكتوبة او المطبوعة

ولا يكمل هذا البحث الوجيز من دون اشارة الى ابنة الصحافة الشرقية واريدها الصحافة العربية في مهاجر الشرقيين فقد اعاد التاريخ نفسه وشهدنا في عالم الصحافة اندلساً جديداً في اميركا الشمالية واميركا الجنوبية حيث انشأ ادباء المهاجرين الصحف اليومية والاسبوعية والمجلات الادبية وكلها باللغة العربية وقد تأثرت بالمحيط الذي نشأت فيه وشقت لها طريقاً جديداً ونجحت نجاحاً عظيماً فكانت من اوثق الصلات بين العالم الجديد والعالم القديم ولكني لا ادري ما يكون شأنها في الولايات المتحدة بعد ما سن قانون الهجرة الجديد الشديد وبعد ما ينقطع سيل الهجرة العربية الى تلك الديار و « يتأمر ك » ابناء الجيل الحاضر من اولئك المهاجرين وينطقون بالانكليزية بدلاً من العربية وعندم بلغة شكسبير التي يجيدونها كابنائها صحف عظيمة راقية رخيصة الثمن منتشرة هناك ايما انتشار ومن مظاهر التحول الجديد في الصحافة الشرقية اصطباغ جانب من الصحف بصفة الاحزاب السياسية التي تنشأ في بلدان الشرق بحكم النهضة القومية والسياسية . ولا يستطيع من الآن تقدير تأثير هذا التحول في ارتفاع الصحافة ومبلغ فعله في معالجة المشكلات العامة ولكن الباحث اذا عجز عن التنبؤ فلا يسمع اغفال هذا التحول الذي حذونا فيه حذو الصحافة الغربية حيث لكل حزب صحف تنطق باسمه وتعبّر عن آرائه وتدافع عن مبادئه ووجهات نظره في الشؤون الداخلية والخارجية اما الذي يقدم الباحث على التنبؤ به فهو ان انتشار التعليم الاولي وارتفاع التعليم

الثانوي العالمي في مصر وسواها من البلدان الشرقية سيوسعان المجال للصحافة والتأليف والتصنيف ويزيدان في عدد الصحف والمجلات وفي سعة انتشارها وكثرة قرائها والمعلنين فيها وهذا يمكنها بالطبع من تحسين موادها وترقية مباحثها والاكثر من الايدي العاملة فيها حتى تصير من لزوميات الحياة لمجموع كبير كما هي اليوم لمجموع لا يزال صغيراً بالنسبة الى عدد السكان على نحو ما شهدناه حتى الآن من اقبال الناس على شراء الصحف اعتقاداً منهم بان قيمة ما يبتاعونه منها تساوي ما يبدلون من الثمن خلافاً لما كانت عليه الحال يوم كانت الصحف تعرض على الناس للاشتراك فيها فلا يقبلونه الاً حياءً او رهبة

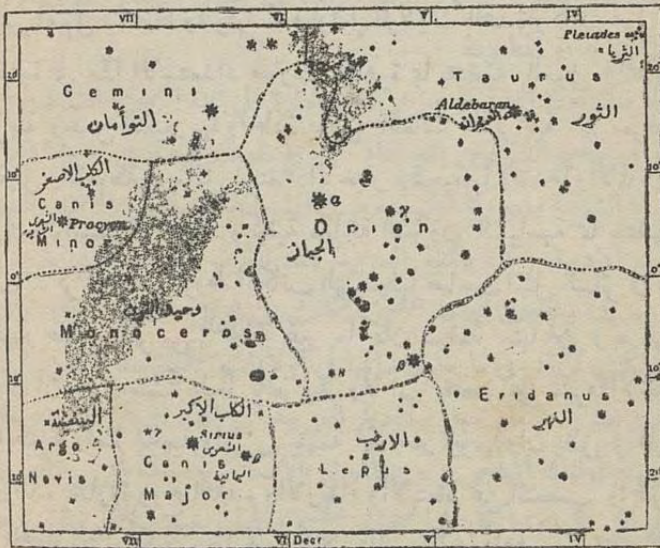
وقد اقتضى ارتفاع الصحافة الشرقية وتعدد مهامها وعظم تبعاتها الى تبدل عام في استعداد الذين يشتغلون بها وتأهبهم لهذه الصناعة الشاقة ومع اننا لا نتطرق ان تنشأ مدارس لتدريس اصول الصحافة وفنونها كما فعلوا في الولايات المتحدة وكما شرعوا يفعلون في لندن فان الحاجة الى هذا الاستعداد صارت ظاهرة بما يقتضيه العمل الصحافي من اتيان اللغة العربية وحسن التعبير بها واجادة بعض اللغات الافرنجية مع معرفة شيء من قواعد الاختزال والاحاطة بوسائل استقاء الاخبار وتمحيصها ونقدها والالامام باصول الاجتماع والعمران ونواميس الاقتصاد وكيفية معالجة الشؤون السياسية مما يقتضي علماً غير قليل ومواهب تذكر الى آخر شروط الكاتب التي بسطها صاحب المثل السائر في مستهل كتابه فان الجمهور صار ينتظر من الصحافة غير ما كان يتوقعه منها من ربع قرن فلم يعد يكفي الصحافي ان يكون منشئاً بليغاً بالعربية ولا ان يقتصر على مرد الاخبار بل ان يكون كبير الكنانة واسع الجعبة وان يلهمه الله صبر ايوب وان يظل في قلبه شاباً عدته النشاط ورائده مجارة روح التقدم والارتقاء والابتعاد عن التعصب والجحود

واذا كان الصحافيون يشكون ويتململون لما لا يزال عالقا بصناعتهم من قيود قانونية ومقاومات ظاهرة وخفية وقلة تقدير لجهدهم وتعهم فان التحسن من هذه الجهة عظيم وسيطردهم بحكم الارتقاء العام وارتفاع فن الصحافة الخاص. واذا شئنا دليلاً على تقدير الام والحكومات للجهد الصحافي فحسبنا ان نشير الى يوبيل المقتطف الذهبي الذي تفضل جلالة الملك فوضع حفلته الكبرى تحت رعايته السامية وتسابق الفضلاء في الشرق والغرب الى الاشتراك فيه تنويهاً بفضل العلم والمعرفة وتقديراً لعمل العاملين واعترافاً بجهد المجاهدين في بلدان الشرق مهبط الوحي ومهد الالهام ومستقر الحكمة ومطلع فجر الحق خليل ثابت

غرائب الاجرام السماوية

تابع الشعري

✽ الشعري ✽ الشعري اكبر كواكب الكلب الاكبر canis major الذي موضعه تحت رجلي الجبار Orion واوراهما نعتها العرب بالشعري البمانية لانها تغيب في شق اليمين والشعري العبور لانهم قالوا انها عبرت الحجرة في ناحية سهيل ولانهم يزعمون ان الشعريين اخنا سهيل وان سهيلاً تزوج بالجوزاء فركها عليها وكسر قفارها فهو هارب نحو الجنوب خوفاً من ان يطلب الجوزاء . والشعري اسطع الكواكب ومن اقربها الى الارض



فانها تبعد عنها ثمانى سنوات نورية ونحو سبعة اشهر وقد سماها المصريون سوشس وتفاءلوا بها لانها تطلع مبشرة بقرب فيضان النيل اما الرومان فكانوا يتشاءمون منها. وكلمة الشعري معربة من اليونانية اصلها سيربوس ابي الجبار او المحرق لانه يطلع في فصل الصيف وفي ذلك يقول الشاعر العربي

يوم من الشعري يذوب لعابه افاعيه في رمضائه تملل

✽ تابع الشعري ✽ في اواسط القرن الثامن عشر حاول علماء الهيئة ان يكتشفوا تعليلاً يعللون به اضطراباً يحدث في سير الشعري فحيد عن فلكنها المعين لها بالحساب الرباعي

وفي سنة ١٨٤٤ اشار الفلكي بسل الى احتمال وجود كوكب غير منظور يؤلف مع الشعري كوكبا مزدوجا وهذا الكوكب يؤثر فيها فتتحول عن فلكها المعين . وفي سنة ١٨٦٢ انجز العالم الاميركي الثان كلارك اكبر عدسية تلسكوب صنعت الى ذلك الحين اذ كان قطرها ٤٧ سنتمتراً . ولما صوّبها ابنه الى الشعري صاح « ابي ان للشعري تابعاً » وبعد ما رُصد هذا التابع وجد ان مكانه يتفق مع المكان الذي عين له بالحساب قبل رؤيته كما حدث في اكتشاف السيار نبتون

ومن ذلك الوقت اخذ العلماء يرصدون هذا التابع حينما يبعد عن الشعري لانه حين يقترب منها تغمره بضياؤها فلا يستطيعون رؤيته

وبستخلص من هذه المباحث ان تابع الشعري يدور حولها في فلك مستطيل فيتم دورته او بالحري يتم كلا الكوكبين دورتهما حول نقطة مركزية داخل الفلك في خمسين سنة . وقد يقرب التابع من المتبوع حتى يصير على ٩٦٥ ٥٨٩ مليون كيلومتر منه في اقرب قربه اليه وقد يبعد عنه حتى يصير على ١ ٤٤٨ ٣٨٣ مليون كيلومتر لدى اقصى بعده عنه . وحينما يقترب التابع من المتبوع يحدث على سطح التابع اضطرابات مغنطيسية من نوع الكلف والالسنه النارية التي تحدث على سطح الشمس

ولكن اغرب ما يمتاز به هذا التابع مقدار المادة التي فيه على صغر حجمه فان قطره يزيد ثلاثة اضعاف او اربعة اضعاف على قطر الارض انما مقدار المادة فيه يساوي بل يفوق مقدار المادة في شمسنا التي يزيد قطرها ١٠٩ اضعاف على قطر الارض . فاذا مثلنا شمسنا بدائرة قطرها ١٠٩ سنتمترات كانت الارض على هذه النسبة نقطة قطرها سنتمتراً واحداً وتابع الشعري دائرة قطرها ثلاثة سنتمترات او اربعة . مع ذلك ثبت ان في هذه الدائرة الصغيرة مقداراً من المادة يوازي المقدار الذي في الدائرة الكبيرة . فكأن كثافة المادة فيه تتراوح بين ٣٠ الف ضعف و ٦٤ الف ضعف كثافة الماء او نحو ستة آلاف ضعف كثافة الحديد

والثابت من كثافته مرتبط بالثابت من حجمه فقد ابان الفلكي الاميركي سيرز Sears سنة ١٩٢٢ ان قطر هذا التابع لا يقل عن ٢٦ الف كيلومتر ولا يزيد على ٤٨ الف كيلومتر وذلك بعد ما درس الصور الطيفية التي صورها الاستاذ ادمس في مرصد جبل ولسن سنة ١٩١٤

ولا يخفى ان وزن كل جسم على سطح جرم من الاجرام يختلف باختلاف كثافة الجرم وطول قطره . فلو ان قطر تابع الشعري كقطر الارض وكثافته بقيت كما هي اي نحو ١٠ آلاف ضعف كثافة الارض لبلغ وزن رجل عادي على سطحه ملايين من الارطال ولكن له من وزنه ضغط كاف يلققه بالارض ويسطحه حتى يصير كاللوح . اما وقطر تابع الشعري يزيد نحو اربعة اضعاف على قطر الارض والجاذبية نقل كمرج البعد فوزن الرجل هناك يبلغ اثنائاً كثيرة وذلك كاف لان يمنعه عن الوقوف في حالته الطبيعية بل يسحقه سحقاً

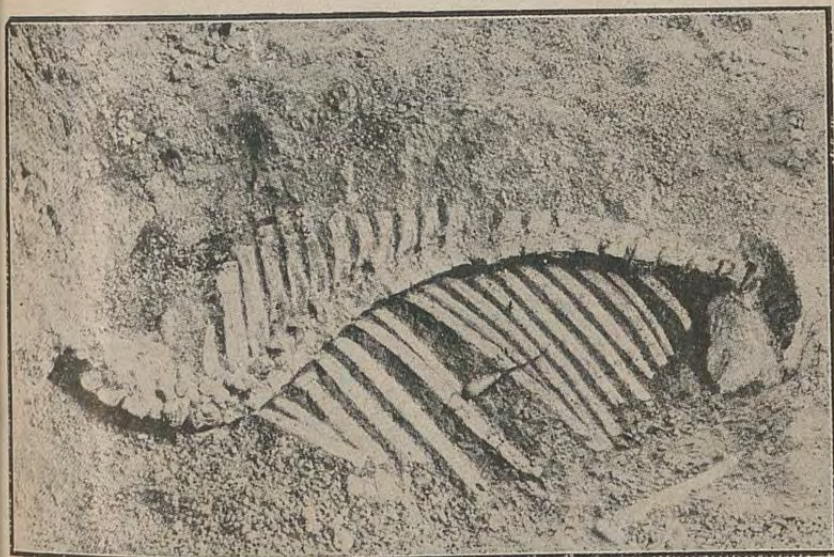
✽ تابع الشعري ومذهب اينشتين ✽ وفي سنة ١٩٢٤ اخذ الاستاذ ادنغتون استاذ الفلك في جامعة كمبرج واكبر علماء الرياضيات والفلك عند الانكليز الآن يعالج موضوع تابع الشعري من ناحية مذهب اينشتين ولا يخفى ان الاستاذ ادنغتون من اكبر انصار هذا المذهب . ذلك ان مذهب اينشتين يقضي بان توجد مادة كل كوكب من الكواكب غلافاً ممغنطاً حولها تنحرف فيه اشعة النور عن سيرها الاصلي فيه . وقد حقق هذا الرأي في رصد الكسوفات الحديثة واشهر تحقيق له جرى في رصد كسوف مايو ١٩١٩ وما يقضي به مذهب اينشتين ايضاً ان انحراف اشعة النور في هذ الغلاف الممغنط يجب ان يظهر في تحليل النور بالسبكتروسكوب بتأخر ظهور الخطوط الطيفية او باستطالة امواج الاشعة

اخذ الاستاذ ادنغتون يبحث في هذا الموضوع فالتخذ قاعدة لبحثه ان حرارة تابع الشعري ٨٠٠٠ درجة بميزان سنتغراد وكثافته ٥٣ الف ضعف كثافة الماء ، وقطره ٣٩٢٠٠ كيلو متر فحسب على اساس ذلك ان تأخر الخطوط الطيفية يجب ان يكون نحو ٢٠ كيلو متر في الثانية وفي الوقت نفسه كان الاستاذ ادمس مدير مرصد جبل ولسن باميركا قد صور نور هذا الكوكب بسبكتروسكوب متصل بتلسكوب مرصد جبل ولسن فثبت من صورهم ان الخطوط الطيفية تتأخر ٢٣ كيلو متراً في الثانية وهذا يؤيد حساب ادنغتون

فيستنتج من ذلك ان كثافة هذا الجرم السموي نحو ١٠ آلاف ضعف كثافة الارض او ستة آلاف ضعف كثافة الحديد . فما هي حالة المادة في كوكب علي هذه الدرجة من الحرارة والكثافة ؟



بيوض الدينوسورس كما عثر عليها في صحراء غوبي



هيكل حيوان لبون يرجع تاريخه الى ثلاثة ملايين سنة كما وُجد في صحراء غوبي
 وهو كامل تقريباً
 مقتطف مايو ١٩٢٦
 امام الصفحة ٤٩٥

الحيوانات اللبونة

واقدم آثارها

بسطنا في مقتطف فبراير سنة ١٩٢٤ كيف عثرت بعثة علمية اميركية برئاسة الدكتور اندروز في صحراء غوبي بمنغوليا على مجموعة نادرة من بيوض الدينوسورس المتحجرة وغير ذلك من الآثار والجلاجم والعظام المتحجرة التي يرتد تاريخها الى نحو عشرة ملايين سنة . وقد اعادت هذه البعثة الكرة في سنة ١٩٢٥ على المكاف الذي وجدت فيه ما تقدم لاتمام البحث عن تلك المتحجرات النفيسة عساها ترشد العلماء الى الموطن الاول الذي نشأ فيه الانسان . فعثرت على عدد كبير من بيوض الدينوسورس وجلها يفوق ما عُثر عليه اولا من حيث سلامته وعدم تكسره او تفتته وكثرة انواعه . ووجدت عدا البيض كثيرا من العظام المتحجرة وجميع هذه الآثار متى رُبت ترتيبا علميا حسب سن اصحابها تألف منها سلسلة متصلة الحلقات تمثل حياة الدينوسورس في جميع ادوارها من مهد الى لحد.

وكانت البعثة قد عثرت في رحلتها الاولى الى صحراء منغوليا على مجموعة متحجرة حسبها الدكتور غرانجر الذي كشفها انها من آثار الزحافات غير المعروفة فلما رآها الدكتور متيوز امين المتحجرات في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك ادرك الحال انها ليست من آثار الزحافات بل من اثار الحيوانات اللبونة بل قد تكون من آثار اقدم الحيوانات اللبونة على الاطلاق . فكتب الى الدكتور غرانجر يطلب اليه ان يهذل ما في وسعه لكشف كل ما يستطيع كشفه من هذا القبيل . وذلك لانه من المعروف لدى علماء النشوء والمتحجرات ان الحيوانات اللبونة التي دمها حار وتضع اطفالها نشأت من الزحافات البيوضة الباردة الدم . وكان العلماء حتى سنة ١٩٢٣ لم يوفقوا الى العثور الا على مجموعة واحدة من مجامح الحيوانات اللبونة التي يرجع عهدها الى ذلك العصر المتوغل في القدم ، عُثر عليها في جنوب افريقية في طبقة من طبقات الترياسيك التي كانت منذ نحو ١٦ مليون سنة وهذه المجموعة موجودة الآن في المتحف البريطاني وتحسب من الكنوز الاثرية التي لا تقوم بمال . على ان صاحبها كان من الحيوانات اللبونة التي انقرضت في مطلع عصر

الايوسين وليس من علاقة صريحة له بالحيوانات اللبونة المعروفة وبعض العلماء يظن انها جمجمة احد الزحافات القديمة

لذلك اهتمت بعثة الدكتور اندروز في رحلتها الاخيرة بالنقب عن آثار الحيوانات اللبونة في المكان الذي وجد فيه الدكتور غرانجر الجمجمة الاولى وهو المكان الذي عثر فيه البعثة على آثار الدينوسورس من بيض وجماجم وعظام . وكان الحظ يسير في ركاب الدكتور غرانجر فما حطت البعثة رحالها على مقربة من هذا المكان حتى مشى اليه وعاد بعد ساعة يحمل في يده جمجمة صغيرة لحيوان لبون متوغل في القدم وهي الجمجمة الثالثة من نوعها في تاريخ البحث عن المتحجرات

وكانت البعثة قد عزمت على السفر الى مكان آخر في اليوم التالي فلما عادت الى هذا المكان استأنف غرانجر ورفاقه البحث عن جماجم الحيوانات اللبونة وعظامها فقبضوا اسبوعاً كاملاً جمعوا فيه ست جماجم كلها صغيرة لا يزيد طول الواحدة منها على بوصة ونصف بوصة لانها كانت جماجم حيوانات صغيرة الحجم جداً

قال الدكتور اندروز رئيس البعثة « وقد كنت احرص على هذه الجماجم كما احرص على ولد لي فكنت اراقبها في اثناء السفر من منغوليا الى نيو يورك لا اغفل عنها طرفة عين . ولما سلمتها الى مدير متحف نيو يورك شعرت ان عبئاً ثقيلاً زال عني »

هذه الجماجم صغيرة كما تقدم يستدل منها على ان اصحابها لم يكونوا اكبر من الجرذان مجماً وعهداً يرجع الى عشرة ملايين سنة ويجب ان ينظر اليها كاول محاولة حاولتها الطبيعة في توليد حيوانات لبونة تأكل الحشرات او اللحوم او الاعشاب . وقد قال الاستاذ اسبرن رئيس متحف التاريخ الطبيعي بنيو يورك في الكلام عليها ما يأتي « لا شك في ان انقراض الزحافات البحرية والبرية الكبيرة التي بقيت الى نهاية العصر الكريتاسي مهد السبيل لنشوء الحيوانات اللبونة فاخذت لتولد انواع جديدة منها وما زالت ترتقي حتى تسلطت على البر والبحر » وقد كاد علماء الحياة يجمعون على ان الحيوانات اللبونة نشأت من الزحافات كما نشأت الزحافات من الحيوانات اللافقية^(١) وهذا لا يعني ان انواع الزحافات المعاصرة هي من اسلاف الحيوانات اللبونة انما يعني ان الحيوانات اللبونة وانواع الزحافات المعاصرة نشأت من انواع الزحافات المنقرضة المتوغلة في القدم

(١) معنى اللافقيا المزدوجة الحياة كالضفدع لانها تعيش جانباً من عمرها في الماء وجانباً في اليابسة

الحرب الكبرى ومن المسؤول عنها

٢

وصلنا في مقتطف ابريل الى اجتماع رؤساء اركان الحرب الثلاثة واتفاقهم على الاشتراك في الحرب . ولما عاد كتراد الى بلاده وحضر استعراض الجيش في بوهيميا رأى من الارشديوق فرنز فردينند شيئاً من الفتور في معاملته له فاستعفى من رئاسة اركان الحرب ولكن الارشديوق اعذر اليه وطلب منه ان يستمر في منصبه ولو الى الربيع (سنة ١٩١٤)

وكان قد تمّ الاتفاق بين ملتي وكتراد على ان جيوش النمسا والمجر تقابل الجيوش الروسية وتساعد المانيا باثنتي عشرة فرقة الى اربع عشرة حسب مقتضى الحال تبعث بها المانيا الى شرقي بروسيا وعلى النمسا حينئذ ان تتخذ خطة الهجوم في شمال كرباثيا وتبذل جهدها في صد جيوش روسيا الى ان يصل المدد الالمانى الى المكان المعد له . وكتب ملتي الى كتراد يقول انه رأى الجنرال زكارى الذي كان معيناً لقيادة الجيوش الايطالية في المانيا اذا نشبت الحرب فقال له انه واثق ان ايطاليا تقوم بما يجب عليها اذا وقعت الحرب . فاجابه كتراد انه اذا كان الامر كذلك فهذا يسهل على المانيا ان ترسل بعض جيشها الذي يقوم الجيش الايطالي مقامه ليسانع الجيش الذي يرسل الى شرق بروسيا. لكن ملتي لم يكن ليمسك هذا المسك فاجابه ان المانيا مضطرة ان تبدأ بحاربة فرنسا كما لو لم تكن الجيوش الايطالية آتية لنجدها ولكن حالما تصل الجنود الايطالية ترسل المانيا جانباً من جيشها من الغرب الى الشرق . ثم قال

اما الجيش الايطالي فلا يكون مستعداً الا في اليوم الثاني والعشرين بعد التعبئة فلا نستطيع ان نؤخر هجومنا على فرنسا انتظاراً له ولكنني ارجو اننا نستطيع حينئذ ان نجد سبيلاً للبت في هذه المسألة الهامة . ولا نعلم الآن هل تستطيع الجيوش الايطالية ان تصل بقطاراتها الى المحطات التي يراد وصولها اليها او تضطر ان تنزل في محطات اخرى قبلها بسبب اتخاذ الجيوش الفرنسية خطة الهجوم . وبما حبذا لو استطاعت الجيوش الايطالية ان تقدم وصولها خمسة ايام ولكننا يجب ان لا نعتمد على الالمانى بل نقابل الامور كما هي ونشرع في الحرب كما لو لم تكن الجيوش الايطالية آتية لنجدها ولذلك لا

نستطيع ان نغير خططنا ولكنني اؤكد لك اننا نرسل بعض جنودنا الى روسيا حينئذ نصل الجنود الايطالية

وذهب ملتي في ابريل سنة ١٩١٤ الى كارلسباد للاستشفاء على جاري عاده ودعا كتراد لكي يزوره فيها فاجابه ان لا شيء احب اليه من التحدث معه ولكن الجرائد كانت له في المرصاد ولا بد له من استئذان الامبراطور اولاً. ثم زار ملتي في ١٢ مايو وعاد مسروراً بما تم الاتفاق عليه من نجدة الجيش الالماني. ولم يكتب ملتي شيئاً في هذا الموضوع ولكن كتراد كتب ما يأتي « نرجو ان نقضي على فرنسا في الاسابيع الستة الاولى من الحرب او نكون قد تقدمنا في فوزنا عليها تقدماً يسمح لنا ان نحول اكثر قوانا الى الشرق »

وكان المنتظر ان يقر القرار النهائي في صيف سنة ١٩١٤ ولكن حدث في النمسا قبل ذلك ما عقد المسألة فان الارشديوق فرنز فردينند قُتل في مدينة سراجيفو في ٢٨ يونيو فبلغ الحنق على السرب اشدّه وفي الثاني من يوليو توفي الجنرال بوليو رئيس اركان الحرب الايطالي الذي كان اكبر مؤيد للمحافة الثلاثية وكانت رومانيا قدزادت بعداً عن المحافة الثلاثية. وكتب ملتي حينئذ قطعاً الرجاء من الجيش التركي اذ قال « لا قيمة حربية لتركيا فان تقارير بعثتنا الحربية لا تبقي محلاً للامل فالخلل في الجيش التركي يفوق الوصف. ان من كان يلقب تركيا بالرجل المريض يجب ان يلقبها الآن بالرجل المنحصر. وبعثتنا الحربية تشبه طبيباً واقفاً امام سرير مريض مدنف لا يرجي له الشفاء »

فماذا تستطيع النمسا في هذه الحال هل يصح لها ان تخاطر باثارة حرب اوربية بالهجوم على السرب وهل من مصلحتها ان تقدم على ذلك

في الخامس من يوليو قال كتراد لامبراطوره انه لا بد من محاربة السرب اذا اريد ان تبقى الجبر متحدة بالنمسا. فاجابه الامبراطور انه لا بد لهم اولاً من الوقوف على رأي المانيا. فارسلت النمسا تطلب رأي المانيا ولكن الامبراطور ولهم كان قد ذهب الى نروج ولا بد من تأخير الجواب وفي السادس من يوليو جاء الجواب لامبراطور النمسا ان امبراطور المانيا مستعد شخصياً ان يؤيد النمسا ولكن لا بد له من ان يستشير وزير الامبراطورية. وفي السابع من يوليو عاد رسول النمسا الكونت هويدس من المانيا

مؤكداً أنها تحارب مع النمسا سواء كانت الحرب صغيرة ام كبيرة وانها تشير على النمسا ان
نهاجم السرب حالاً

واجتمع وزراء النمسا والمجر في ٧ يوليو ووافقوا كلهم ما عدا الكونت تسرا وزير المجر
على مناجزة السرب وهم يعلمون ان ذلك قد يؤدى الى حرب عمومية لانهم وثقوا حينئذ
ان المانيا تؤيدهم تأييداً مطلقاً من غير قيد. اما الكونت تسرا فقال ان اثاره هذه الحرب
يخرج موقف النمسا والمجر امام دول الارض وفوق ذلك فهو غير واثق ان الفوز يكون
للمحالفه الثلاثة في حرب اوربية

وفي الثامن من يوليو تقرّر ارسال البلاغ النهائي الى السرب في ٢٢ يوليو وطلب
من كتراد ان يستعد لاحتمال السرب مهما كان جوابها للبلاغ . وطلب منه ومن وزير
الحربية ان يذهبا بالاجازة حالاً اخفاء للحقيقة

وكان كتراد يظن ان تضامن المانيا مع النمسا والمجر كاف لمنع الحرب . وكان
ملتي يثق بالجيش الالماني ثقة كبيرة ويعتقد ان ايطاليا لا تنفصل عن المحالفه الثلاثة
واذا لم تفعل فالمرجح ان الفوز يبقى لالمانيا . وقبل التعبئة بيوم بلغ الامبراطور ولهم ان
فرنسا قد تبقى على الحياد فالتفت الى ملتي وقال له اذا سيكون زحفنا كله شرقاً
فقال ملتي لقد وضعنا خطة الزحف ولا يمكن تغييرها فقال له الامبراطور ان عمك ما
كان يجيب بمثل هذا الجواب

وسلم البلاغ النهائي للسرب بعد ظهر الثالث والعشرين من يوليو وتوالت الحوادث
على النمط التالي

٢٣ يوليو أرسل البلاغ النهائي الى السرب

٢٥ » امرت السرب بالتعبئة العامة

٢٦ » امرت النمسا بالتعبئة الجزئية

٢٨ » اعلنت النمسا الحرب على السرب

٣١ » امرت روسيا بالتعبئة العامة وامرت النمسا بالتعبئة واعلنت المانيا بان

الحرب مع روسيا على الابواب

اغسطس امرت المانيا بالتعبئة العامة

٢ » بعثت المانيا بلاغاً نهائياً الى بلجيكا وبدأت المناوشات بين المانيا وفرنسا

٣ اغسطس رفضت بلجيكا بلاغ المانيا واعلنت المانيا الحرب على فرنسا وامرت بريطانيا
بالتعبئة العامة واعلنت ايطاليا حيادها

٤ » اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا واعلنت المانيا الحرب على بلجيكا

٥ » اعلنت النمسا الحرب على روسيا

وكان غرض كنراد ان تكون الحرب محصورة في السرب حتى يقضي عليها حالاً قترى
دول اوربا انه قضي الامر فلا يبقى محل لاعتراضها لانه لم يكن للنمسا رغبة في حرب
عامة ولذلك لم يفعل شيئاً لحمل روسيا على الحرب . اما المانيا فلم يكن من غرضها حصر
الحرب في السرب بل كان غرضها قهر فرنسا وكان ملتيكي يحسب ان يتم الفوز على فرنسا
قبلاً ثم روسيا تعبئتها وزحفها فلا يبقى لها سبيل للزحف ويرى ان المانيا لا تستطيع ان
تثير حرباً عمومية ما لم تقنع شعبها بلزوم ذلك وهذا الاقتناع لا يقع الا اذا نشبت الحرب
بين النمسا وروسيا فتضطر المانيا حينئذ ان تدافع عن حليفها . ولما رأى ان النمسا مترددة
عزم على انهاضها للعمل . فارسل المحقق الحربي النمساوي في برلين الى كنراد في ٣٠ يوليو
بعدهما قابل ملتيكي تلغرافاً يقول فيه

ان تعبئة روسيا لا توجب التعبئة هنا وانما تجب التعبئة متى نشبت الحرب بين النمسا
وروسيا ولذلك لا تعان المانيا الحرب على روسيا بل تنتظر هجوم روسيا

فارسل كنراد تلغرافاً الى ملتيكي ذلك اليوم يقول فيه

اننا لا نعلن الحرب على روسيا ولا نشرع فيها

فابرق اليه ملتيكي في الليل يقول

لا تزال التعبئة في روسيا مضطردة فيجب على النمسا ان تزحف حالاً على روسيا
وستزحف المانيا ويمكن ابقاء ايطاليا في المحالفة اذا كوفئت

وتوسّع المحقق الحربي في هذا الموضوع فابرق الى كنراد يقول ان ملتيكي يحسب
الموقف خطراً اذا كانت النمسا لا تزحف حالاً على روسيا فان روسيا عبأت جيشها
فصار من الواجب على النمسا ان تقابلها بالمثل وهذا يوجب على المانيا ان تنصر النمسا . ثم
يمكن الاتفاق مع ايطاليا بمكافأتها مكافأة شريفة لكي تبقى في المحالفة الثلاثية ولا داعي
لارسال جيش الى الحدود الايطالية وقد رفضت انكثرا الوسائل التي كررت لحفظ
السلم . ولا بد للنمسا من الاشتراك في الحرب الاوربية لان في هذا الاشتراك رجاءها
الاخير . والمانيا معنا من غير قيد ولا شرط

وعرض كندراد هذه التلغرافات على مجلس من ساسة النمسا صباح ٣١ يوليو فوافقوا عليها وطلب من الامبراطور ان يأمر بالتعبئة العامة الا ان ايطاليا بعثت التلغراف التالي وهو: من حيث ان المحالفة الثلاثية هي مخالفة دفاعية . ومن حيث ان الوزارة النمساوية اثار حرباً اوروبية بمعاملتها العنيفة للسرب وفوق ذلك لم تستشر الحكومة الايطالية في ذلك قبل حدوثه فايطاليا غير مضطرة الى الاشتراك في هذه الحرب

وصدر الامر بالتعبئة العامة في النمسا ظهر الحادي والثلاثين من يوليو وجاءت الاخبار الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ ان المانيا اعلنت ان الحرب على روسيا دنت . وبقي ملتيكي يحسب ان فعل النمسا ليس فيه الشدة اللازمة فابرق الى كندراد تلك الليلة يقول اتركنا النمسا في المأزق . فأسقط في يد كندراد وكتب الى ملتيكي تفصيلاً مسهباً شرح فيه سبب تمهل النمسا واكد له انها لا تخل بمعاهداتها

وظهر للنمسا حينئذ ان الامور لم تأت على مرامها فان ايطاليا تخلت عنها وقد نتخذ خطة العداء وبلغاريا ابت مناوأة السرب ورومانيا باتت كمن يحاول الحرب . وان الحرب ستكون عامة . واوجس امبراطور النمسا شراً واعرب عن ذلك بقوله اذا كان لابد من القضاء على بلادنا فلننت رجالاتاً

وفي الخامس من اغسطس كتب ملتيكي الى كندراد معلناً وصول كتابه اليه وشكره شكراً جزيلاً بقوله

« لم اكن في حاجة الى ما اكدته لي ايها الاخ العزيز وهو ان النمسا لا تخون عهودها انه لامهل علي ان ارتاب في الله من ان ارتاب في صدق اليمين التي حلفناها بعضنا لبعض . ان دخولنا البلجيك فظيع بلا شك ولكننا نحارب لاجل حياتنا وكل من يقف في طريقنا يجب ان نحمل نتيجة عمله . ان هذه الحرب قد نخسر بها اسطولنا ولكن انتهاء الحرب في البر . ان الايطاليين لا يمكن ان تبلغ منهم الدناءة حتى يطعنوك من ورائكم . دعوا البلغار نهجم السرب ولينهش بعضهم بعضاً . اماننا الآن غرض واحد اطرحوا الروس اصحاب الوفاق في المستنقعات وغرّ قوهم

وفي التاسع من اغسطس اكد ملتيكي لكندراد انه بذلت كل الوسائل لابقاء ايطاليا على الجهاد فلم تفلح فانها نهمة قاصدة الاتهام وتأبى ان يصرفها احد عن عزمها ثم سار كل من ملتيكي وكندراد الى ميدان القتال . اما كندراد فبقي في رئاسة اركان الحرب الى نهايتها واما ملتيكي فلم يبق فيها الا شهراً وایاماً ثم عاد الى المانيا مريضاً

منهوك القوى ومات فيها . والظاهر ان ضميره نخسه قبل وفاته فانه كتب في ٩ سبتمبر الامور سائرة من رديء الى ارداء فالمعارك شرقي باريس ستكون نتيجتها علينا . ما اشد الفرق بين الاحوال الآن وما كانت عليه حينما شرعنا في الحرب والنصر حليفنا . سنضطر ان نوفي ما اتلفناه

مات ملكي قبلما رأى اندحار الجيش الالماني اما كتراد فرأى تمزق بلادوه واندحار جيشها انتهى باختصار كثير

ومما يجري هذا الجري ما جاء في مجلة دنماركية وهو ان الجراح الدنماركي الشهير الاستاذ تونزكدر ووستيج جاء برلين في ابريل سنة ١٩١٤ للاشتراك في المؤتمر الطبي فجعل الذين يعرفهم من الاطباء يأخذونه جانباً الواحد بعد الآخر ويكلمونه مظهرين حبهم للدنمارك وان المانيا عازمة ان ترد اليها شمال شنزوغ . وكان له صديق في المانيا وهو جنرال من اصل دنماركي فضى اليه وقال له هل نحن قادمون على حرب . فبهت الجنرال وقال نعم ومن اخبرك بذلك فقص عليه ما سمعه من الاطباء . فقال نعم وقد طلب من الاطباء ان يتوددوا الى رصفائهم من اطباء الدنمارك وان تبذل كل الوسائل لاكتساب صداقة الدنمارك حتى تبقى على الحياد وقت الحرب ان لم تشارك مع المانيا فيها فسألته الجراح عن السبب الذي يحمل المانيا على الحرب فاجابه ان الضرورة تدعو الى ذلك فان الدوما الروسية قررت انشاء سكة حديد حربية في بولونيا ومتى تمت هذه السكة بعد سنة او سنتين لم يبق لالمانيا امل بالفوز اذا حاربتها روسيا وفرنسا لانها تهاجم حينئذ من جهتين . وبغير هذه السكة لا تستطيع روسيا ان تزحف بجيوشها في اقل من شهرين فنكون قد قضينا على فرنسا ثم نعود الى روسيا وندحرها ولذلك لا بد لنا من ان نشهر الحرب عليها وعلى فرنسا بعد شهرين من الزمان

وعاد الاستاذ روفستيج الى برلين في شهر يونيو وسأل صديقه الجنرال كيف ان الحرب لم تعلن كما انبأه قبلاً فقال له ان رئاسة اركان الحرب لقيت من الامبراطور مقاومة لرأيها لم تكن تنتظرها ولكنها باذلة جهدها لاقناعه والمرجح ان تشهر الحرب بعد وقت قصير . انتهى وهذا يطابق رواية نشرناها في المقتطف في اوائل الحرب وفيها ان الامبراطور قال لولي عهده اذا خرجت من هذه الحرب منصوراً حفظ لي التاريخ اسم رجل مخرب سفائك الدماء كاتيلاً واذا دارت الدائرة عليّ فانك لا تملك بعدي

اسلوب المؤرخين العرب

في كتابة التاريخ

٣ — الكتابة حول السنين

فلنأين بعض المؤرخين جعلوا الكلام في أبحاثهم يدور على الحادثات والملوك وأوردنا الامثلة العديدة على ذلك ولا يسعنا هنا إلا أن نوكد أن فئة كبيرة من المؤرخين العرب اخذت السنين محور البحث في الفتوحات والوقائع والفن الشهيرة فابن خلدون صاحب المقدمة المعروفة رتب تاريخه على السنوات وقد وصفه حاجي خليفة بما يأتي «... وهو كبير عظيم النفع والفائدة رتب على السنوات . روي أنه كان في وقعة تيمور فاضياً يجلج خل في قبضته اسيراً سميراً فكان يصاحبه وسافر معه الى سمرقند فقال له يوماً لي تاريخ كبير جمعت فيه الوقائع بأسرها خلفته بمصر وسيظفر به الجنون يشير الى يرفون . فقال له هل يمكن تلافي هذا الامر واستخلاص الكتاب فاستأذنه في ان يعود الى مصر ليحيى به فاذن له ولعل ذلك الكتاب هو (العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والروم والبربر) وقد اشتهر نحو ثلثه بالمقدمة ودون مفرداً» (١)

كذلك فعل الطبري فإنه رتب كلامه في التاريخ على السنوات وقد انتهى في كتابه الى سنة ٣٠٩ هجرية . وتداولت الايدي هذا المؤلف المعدود من الثقات فترجم الى الفارسية والتركية وقد اسهب حاجي خليفة ايضاً في وصفه فقال « وهو من التواريخ المشهورة الجامعة لآخبار العالم ابتداءً من اول الخليفة وانتهى الى سنة ٣٠٩ ومما في تاريخ الام والملوك . وذكر ابن الجوزي أنه بسط الكلام في الوقائع بسطاً وجعله مجلدات وان المشهور المتداول مختصر من الكبير وأنه هو العمدة في هذا الفن . وذكر ابن السبكي في طبقاته « أن ابن جرير قال لاصحابه هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا » قالوا كم قدره فذكر أنه ثلاثون الف ورقة فقالوا « هذا مما يفني الاعمار قبل اتمامه فقال « إنا لله مات الهمم » فاختصره في نحو ما اختصر التفسير . ونقله ابو علي محمد البلعمي من وزراء السامانية الى الفارسية اوله « الحمد لله العلي الاعلى » ذكر فيه ان منصور بن

(١) حاجي خليفة ج ٢ ص ١٢٤ وج ٤ ص ١٨٣

نوح الساماني امر بترجمته لامينه وخاصته أبي الحسن سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ونقله
غيره الى التركية وهو المتداول بين عوام الروم والذيل عليه لابي محمد عبد الله بن محمد
الفرغاني وعُرف هذا الذيل بالصلة ^(١) «

ومن المؤلفين المشهورين الذين اوردوا الحادثات حسب السنين الملك ابو الفدا
صاحب حماه فكتابه «المختصر في اخبار البشر» هو ملخص كتاب الكامل لابن
الاثير الا انه رتب الحادثات فيه حسب السنين وقد اختصر هذا الكتاب وذيل عليه
ابن الوردي المصري فقال في سبب تلخيصه «اني رأيت المختصر في اخبار البشر تأليف
مولانا السلطان الملك المؤيد صاحب حماه من الكتب التي لا يسع جهلها فانه اختاره من
التواريخ التي لا تجتمع الا لملوك فاخصرته في نحو ثلثيه فكفل بوجازة اللفظ وكل المعنى
ونقته بياتاً وألحقته اعياناً وادعته شيئاً من نظمي ونثري وحذفت منه ما حذفه أسلم
وقلت في أول ما زدت «قلت» وفي آخره «والله اعلم» وسأذيله من سنة تسع وسبعائة التي
وقف المؤلف عليها وسميته «ثمة المختصر في اخبار البشر» واعلم ان التواريخ القديمة
في هذا الكتاب مؤلفة على مقدمة وخمسة فصول والتواريخ الاسلامية مرتبة على السنين ^(٢) «
وقد اسهب حاجي خليفة في وصف هذا الكتاب فقال ان «المختصر في اخبار
البشر في مجلدين للملك المؤيد اسماعيل بن علي الأيوبي المعروف بصاحب حماه . توفي
سنة ٧٣٢ هـ اوله «الحمد لله الذي حكم على الأعمار بالآجال الخ» اورد فيه شيئاً من
التواريخ القديمة والاسلامية ليكون تذكرة تغنيه عن مراجعة الكتب المطولة واخصر
من الكامل وغيره من نحو عشرين مجلداً ورتب التواريخ القديمة على مقدمة وخمسة فصول
والتواريخ الاسلامية على السنين حسب تأليف الكامل ، المقدمة تتضمن ثلاثة امور .
الاول في كثرة الاختلاف بين المؤرخين . الثاني في معرفة نسخ التوراة . الثالث في معرفة
جدول اقترحه يتضمن ما بين التواريخ من المدد . الفصل الاول في ذكر الانبياء وحكام
بني اسرائيل والثاني في ذكر ملوك الفرس والثالث في ذكر الفراعنة وغيرهم والرابع في
ملوك العرب والخامس في ذكر امم العالم وانتهى فيه الى سنة ٧٢١ هـ «فتري ان حاجي
خليفة ألم بجميع المواضيع التي بحث فيها ابو الفداء

ومن الكتب التاريخية المرتبة عموماً حسب السنين كتاب بدائع الزهور في وقائع

(١) حاجي خليفة ج ٢ ص ١٣٦ — ١٣٧

(٢) مقدمة ابن الوردي ص ٢ — ٣ (٣) حاجي خليفة ج ٥ ص ٤٤٧ — ٨ — ٩

الدور المطبوع بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر سنة ١٣١٨ هـ وهو في اربعة مجلدات وقد انتهى فيه الى سنة ١٥٢٢ م

٤ — الكتابة حول المدن

وقد اخذت طائفة كبيرة من مشاهير المؤرخين العرب المدن الكبيرة قاعدةً لبحثها فابن عساكر صاحب تاريخ دمشق ذكر اخبار دمشق والذين نبغوا من ابناءها وكل من حل فيها سواء كان نبياً او خليفة او عالماً او شاعراً او فقيهاً او لغوياً أو اخباراً أو نساباً ولم يترك حكاية مستملحة او حكمة رائعة او شعراً لطيفاً له علاقة بكل من وطئت قدماء دمشق من المعروفين الا ذكرها وقصها على قارئيه . وهنا لا يسعنا الا ان نقول ان ابن عساكر وامثاله ليسوا الا من الجماعين الذين يجمعون حرفياً كل ما يقع بين ايديهم من الحقائق في الموضوع الذي يكتبون فيه من غير ان يكون بينها رابطة علمية منطقية وثيقة اما حاجي خليفة فيجب بهذا المصنف لابن عساكر فيذكر انه يقع في ثمانين مجلداً وشبه تاريخ بغداد لابن الخطيب ونعترف نحن بهذه المناسبة والامسى بملأ قلبنا حزناً اننا لم نشاهد لتاريخ بغداد من اثر ولعله في احدى المكاتب الاوروبية او في احدى الخزائن الشريفة التي لا يمكن لاحد ان يناله منها سوى العث والحشرات الفتاكة بالكتب . وقد ذبل بعضهم واخضروه آخرون وهاك ما يذكره حاجي خليفة بهذا الصدد «نوارخ دمشق اعظمها تاريخ الامام الحافظ ابي الحسن علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١ هـ وهو في ثمانين مجلداً ذكر تراجم الاعيان والرواة وروياتهم على نسق تاريخ بغداد للخطيب لكنه اعظم منه حجماً . ولهذا التاريخ اذبال منها ذبل ولد المصنف القاسم ولم يكمله وذبل صدر الدين البكري وذبل عمر بن الحاجب . وله مختصرات ايضاً منها ما اخضره الامام ابو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي القرني المتوفى سنة ٦٦٥ وهو نسختان كبيرى في خمسة عشر مجلداً وصغرى . ومن اخضره تاريخ ابن عساكر القاضي جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري صاحب لسان العرب المتوفى سنة ٧١١ هـ تركه في نحو ربعه والشيخ بدر الدين محمود بن احمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ انتقى منه جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ونماه «تحفة المذاكر والمنتقى من تاريخ ابن عساكر»^(١)

(١) حاجي خليفة ج ٢ — ص ١٣٠ — ١٣١

وقد حاز هذا التاريخ اعجاب كل من اطلع عليه من العلماء السالفين اذ يظهر لنا قوة الجلد التي امتاز بها ابن عساكر فجمع كتابه كما اشرنا قبلاً في ثمانين مجلداً . وروى ابن خلكان حديثاً جرى له مع استاذہ المنذري عن هذا التاريخ يثبت تقدير العلماء له .
يُلخص فيما يأتي « قال لي شيخنا الحافظ العلامة زكي الدين ابو محمد عبد العظيم المنذري حافظ مصر وقد جرى ذكر هذا التاريخ واخرج لي منه مجلداً وطال الحديث في امره واستعظامه » ما اظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت والآن فالعمر يقصر ان يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبيه « ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اخذاه وما صح له هذا الا بعد مسودات ما يكاد ينضب حصرها وله غيره تواليف حسنة واجزاء متممة وله شعر لا بأس به » (١)

وللامام ابي الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقى كتاب « تواريخ مكة » جرى به على الخطة التي اسهبنا في وصفها . ومختصرة معروف « بزبدة الاعمال »
اما المقرئ مؤلف كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » فوصف كل ما عثر عليه من الآثار كالمساجد والقصور والخطط والمباني الشريفة وتطرق خلال ذلك الى البحث عن شادوها وما قيل فيها من الحكم والاشعار واللطائف . وتري ان اسلوبه سهل منسجم خال من التعقيد وقد لاقى مصاعب حمة في جمع الحقائق وتدوينها . ويمتاز بالتدقيق الا انه لم ينسب المادة التي عني بها الى مأخذها ومراجعها الاصلية وهاك مواضع الكتاب حسبما ذكرها . « ٠٠٠ » وكانت مصر هي مسقط رأسي وملعب اترابي وجمع نامي ومعنى عشيرتي . . . لا زلت منذ شذوت العلم . . . ارغب في معرفة اخبارها وأحب الاشراف على الاغتراف من آبارها واهوى مسألة الركبان عن سكان ديارها فقيدت بخطي في الاعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب او يحويها لغزها وغرابتها . . . الا انها ليست بمرتبة على مثال ولا مهذبة بطريقة . . . فأردت ان ألخص منها انباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الامم الماضية والقرون الخالية وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يفنيه البلى والقدم واذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع وحوته من المباني البديعة الاوضاع

مع التعريف بحال من أسس ذلك من اعيان الامائل والتنويه بذكر الذي شاهدها من سيرة الاعاظم والافاضل وانثر خلال ذلك نكتاً لطيفة وحكماً بديعة شريفة من غير إطالة ولا اكثار ولا اجماف مخل بالغرض ولا اختصار بل وسط بين الطرفين فلذا اسميته (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) ^(١)

ورتب لسان الدين الخطيب الكلام في مصنفه «الاحاطة في اخبار غرناطة» على غرناطة الجميلة فكتب عن جغرافيتها واحوال اجتماعها وملوكها وامرائها وطبقاتها وعلمائها حتى ذكر اهل التصوف فيها وتخللت ابجائه هذه كلها الاشعار الكثيرة والاخبار الطريفة ووصف الترتيب الذي جرى عليه والمواضيع التي طرقها فقال «والترتيب الذي انتهت اليه جبلي وصدقت في اختياره مخيلتي هو أنني ذكرت البلدة حاطها الله منيهاً منها على قدميها وطيب هوائها وأديمها واشرق علاها واشرف حلاها ومن سكنها وتولاها واحوال ناسها ومن دال بها من ضروب القبائل واجناسها ...

«وذكرت الاسماء على الحروف المبوبة وفصلت اجناسهم بالتراجم المرتبة فذكرت الملوك والامراء ثم الاعيان والكبراء ثم الفضلاء ثم القضاة والمقرئين والعلماء ثم المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء ثم الكتاب والشعراء ثم العمال والامراء ثم الزهاد والصالحاء والصوفية والفقراء ... لينتظم الجميع انتظام السلك وكل طبقة تنقسم الى من يسكن المدينة بحكم الاصلة والاستقرار او طراً عليها مما يجاورها من الاقطار او خاض اليها وهو الغريب أنباج البحار أو ألم بها ولو ساعة من نهار فان كثرت الاسماء نوعت وتوسعت وإن قلت انضمرت وجمعت

«وآثرت ترتيب الحروف في الاسماء ، ثم في الاجداد والآباء ، لشذوذ الوفيات والمواليد التي يرتبها الزمان عن الاستقصاء وذهبت الى ان اذكر الرجل ونسبه واصالته وحسبه ومولده وبلده ومذهبه واتخير له الفن الذي دعا الى ذكره وجلبه ومشينه إن كان ممن قيد علماً او كتيبه ، وماثره إن كان ممن وصل الفضل سببه ، وشعره إن كان شاعراً ، أو ادبه وتصانيفه إن كان ممن الف في فن او هذبه ، ومهنته إن كان ممن امده الدهر شيئاً وسلبه ثم وفاته ومنقلبه اذا استرجع اليه من منحه ما وهبه

«وجعلت هذا الكتاب قسمين ومشتلاً على فنين : القسم الاول : في حلى المعاهد والاماكن والمنازل والمساكن ، القسم الثاني في حال الزائر والقاطن والمتحرك والساكن» ^(١)

ومن الذين جعلوا المدن مركزاً لاجتثاثهم صالح بن يحيى المؤرخ صاحب كتاب تاريخ بيروت فسطر فيه آثارها وفتوحها وما جرى بها من القرن السادس الى القرن التاسع للهجرة ونقع اهمية هذا التأليف في امرين الاول اهتمام المؤلف بما شاهد من الحوادث في أيامه والثاني تجرده عن المبالغة والمدح والاطناب . ويسهب صالح في ذكر بني بختر امراء غربي لبنان وبيروت . وقد سعى بنشره وتهذيب عبارته وتعليق حواشيه وفهارسه الاب لويس شيخو اليسوعي وطبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٨ . وإننا للأسف جد الاسف لتهذيب عبارة الكتاب وكنا نود لو ينشر على علته فننذوق اسلوب الكاتب ونفهم روحه الساذجة في ذلك العصر . ثم لو هذبت عبارته وطبعت على الصفحات المقابلة للاصل لكانت الفائدة التاريخية اتم واكمل فلا يخلط المطالع المدقق بين انشاء الاب شيخو وانشاء صالح بن يحيى

اما طريقة المؤلف فهي كما يقول الاب شيخو « ساذجة متبادرة الى الفهم لم يجر بها سوى افادة آله الشرفاء ليقى لهم اثرأ يفخر به الخلف بعد السلف . وجعل لتاريخه ابواباً ونقاسيم يتمكن بها القارئ من احراز فوائده الشتى وكثيراً ما يلخص في اول الفصول ما سبق ذكره تسهيلاً للمطالع »^(١)

والحق ان تاريخ بن يحيى مع جميع ما نقل عن تاريخ حمزة بن سباط « اوقفنا على احوال بيروت الى آخر عهد الملوك المصريين و بداءة دولة عثمان » وهاك ما يقوله صالح معترفاً بالاعتدال والتجرد عن المصلحة فيما كتب « يقول العبد الفقير الى الله تعالى صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين امير الغرب لطف الله به من ذرية بختر بن علي امير الغرب ببيروت فجمعت هذه التذكرة معترفاً الى الواقف عليها من ركة اللفظ ومواقع الخطاء بعد الاجتهاد على صحة النقل وحذف الفضول لأنني لا اريد أن اكون مغالياً في السلف فاصفهم بأزيد مما فيهم او حسوداً فانعتهم بما ليس فيهم . وقد جعلت هذه التذكرة وفقاً الى البيت لا تخرج عن الخلف ولا تعار لغيرهم ... جمعت ذلك باوضح برهان واصدق دليل ولست فيه كخابط عشواء »^(٢)

انيس زكريا النصولي

دار المعلمين بغداد

(١) مقدمة الاب شيخو في تاريخ بيروت ص ٤

(٢) مقدمة صالح بن يحيى ص ٦ — ٧ وراجع ص ٢٧٠

رضا خان شاه ايران

كتب فاسوديو متاً احد محامي كلكتا في مجلة التاريخ الجاري الاميركية الصادرة في ديسمبر الماضي مقالة وجيزة عن الشاه رضا خان قبل ان جلس على عرش ايران فاعتمدنا عليها في اكثر مما يلي لاننا رأينا فيها من الحقائق التاريخية والعمرانية ما نودّ اثباته

ان رضا خان اقدر رجل قام في ايران في الخمسين سنة الاخيرة . ولد في ولاية مازندران سنة ١٨٧٢ وارثي بجدّه وصدق عزيمة كما ارثي جنكيز خان ونيورلنك وانشأها من نوايج العصور . انتظم في سلك الجيش وعمره ١٦ سنة فلم يكد يبلغ السادسة والاربعين حتى صار سرداراً للجيش كله . وبلغ من شأنه ان صارت له حينئذ الكلمة العليا في ايران فنصب صدرّاً وخلع الشاه احمد قاجار ونادى بالجمهورية وصار رئيساً لها ثم جلس على عرش ايران في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٥ بقرار مجلسها الاعلى ونودي بانه ولياً لعهدّه فهو الرجل الذي انتظرته ايران من سنين كثيرة ليصلح شؤونها ويعيد اليها مجدها السابق ويسير بها في سبيل الحرية والفخار

فلما حدث انقلاب عظيم في بلاد من البلدان الا سبقت شوائب كثيرة وعيوب فاضحة ضاقت بها الصدور فطلبت الانفراج وهذا ما حدث في ايران . ففي سنة ١٩٠١ نالت شركة البترول الانكليزية الفارسية حق استخراج البترول من مصادره في كل الجانب الجنوبي من بلاد ايران فاغناظت روسيا من ذلك وجعلت تعتدي على شمال البلاد ودامت المناظرة بينها وبين انكلترا الى سنة ١٩٠٧ فاتفقتا حينئذ على ان يكون شمال ايران منطقة نفوذ روسيا وجنوبها منطقة نفوذ انكلترا فافتسما البلاد اقتصادياً وافتتا لايران شقة ضيقة بينهما

ولقد كان من المحتمل ان تقسم روسيا وانكلترا بلاد ايران كلها وتمتلكها لو لم تقع الحرب الاوربية سنة ١٩١٤ فانه كان من اول نتائجها ان زالت الحكومة القيصرية سنة ١٩١٧ فانصرفت روسيا عن الاشتراك في السياسة الاوربية سياسة امتلاك البلدان ولكن خلا الجو لانكلترا فبعثت بجنودها الى ايران سنة ١٩١٩ وطلبت من حكومتها ان توقع الاتفاق البريطاني الفارسي لكن مجلس ايران رفض ذلك . فلم تصر انكلترا على طلبها لان حكومة الروس البلشفية كانت قد تغلبت على مناوئها دينكن ورنغل ووصلت الى

ايران فوقعت المناظرة بينها وبين انكلترا . وكان رضا خان قد صار من الضباط العظام في فرقة القوزاق وهي ايسل فرق الجيش الايراني فتمكن من بلوغ طهران وحمايتها وقد السيد ضياء الدين الصدارة العظمى لانه وجده حراً متنوراً . ولكن ضياء الدين طلب المساعدة المالية من انكلترا فاغناظ منه رضا خان وكان قد صار سرداراً للجيش واضطره الى نقل الجندرية من وزارة الداخلية الى الحربية . فرأى ضياء الدين انه لم يبق له حول ولا طول ففر الى بغداد واحتمى بانكلترا . فتقلد رضا خان رآسة الوزارة وبقي سرداراً للجيش . وكان من امره انه اوقع بين الروس والانكليز وهو اميل الى روسيا منه الى انكلترا لان روسيا الفت كل الامتيازات التي نالها الروس من ايران ووعدت بان لا تستغل البلاد ولا تتجناح شيئاً من املاكها . وخاوى الروس الايرانيين و بذلوا جهدهم في مساعدتهم . فلم يستطع الايرانيون ان يفاوضوا شعباً يتودد اليهم . وهناك اسباب اخرى تجعل رضا خان يفضل الروس على غيرهم فانه يحسن الروسية وقد تعلم علومه الحربية من الروس . ولايران تجارة واسعة مع روسيا من صادر ووارد ولا تستطيع ان توسع تجارتها مع بريطانيا لان ليس فيها سكك حديدية

وقد عمل رضا خان اعمالاً عظيمة في المدة القصيرة التي كانت الادارة فيها في يده فالجيش الايراني كان معلوه من الروس والبريطانيين وغيرهم من الاوربيين فصرف كل هؤلاء ولم يبق في الجيش احداً من الاجانب . والجيش مؤلف الآن من ست فرق في كل فرقة ٣٦ الفاً فمجموعه اكثر من مائتي الف . ووزع هذه الفرق في انحاء البلاد فاستتب الامن فيها بعد ان كانت دعائمها متقوضة . وتمكن من جعل البريطانيين يخلون جنوب ايران ومن اخضاع الاكراد الذين ثاروا بزعامة اسمعيل ممتكو واذل قبائل البور على حدود العراق وقضى على غيرهم من قبائل الجنوب بدفع الجزية وكانوا قد ابطوا دفعها من زمن واضطروا رئيس عربستان وشيخ المحمرة الى الاعتراف بسيادة ايران وبالاختصار ضم اجزاء ايران بعضها الى بعض بعد ان كادت تنصدع

وهو الآن على وفاق تام مع تركيا وافغانستان وقد اصلح دواوين الحكومة ونشر الامن في البلاد وعامل الجميع بالانصاف . وكان البهائيون مضطهدين قبل ايامه فزال الاضطهاد وهم يعاملون الآن بالاكرام مثل غيرهم من الرعايا وهذا شأن اليهود ايضاً والزرستريين . ونشط معامل القطن في يزد وهي للزرستريين وامر ان يلبس كل رجال الحكومة من منسوجات البلاد . وبذل همته في احياء صناعة السجاد والحرير وغيرهما

من الصنائع الايرانية القديمة . ومن اهم ما هو ساع اليه اصلاح نظام التعليم . والشعب الايراني من ارقى الشعوب ارومةً فاذا تناول مقومات العمران الحديث النامي ولم يعبأ بالدين يحاولون رده الى القديم البالي وجرى هو والشعب التركي في هذا المضمار لم تمض سنون كثيرة حتى نرى في الشرق الاوسط عمرانا زاهراً يباهى به

الشيخ مرعي صبيح

قصة مصرية

٢

اما الس رقية واولادها فقد لحقتهم المذلة وحرّموا ما تعودوه من طيبات الحياة ولكنها جبلت على الشتم فلم تظهر حالها وتمكنت بالقناعة والصبر من الظهور باليسر ولم تترك في امرها احداً سوى ابن خالتها « الحاج عزب متولي » ، وكان ككهلاً بصيراً بالعواقب ، فتمكن بالشجاعة والحيلة من استرداد عشرة افدنة من الاطيان التي تملكها رقية وضما زوجها الى ملكه واخذ عزب يزرعها ويستخلص ايرادها للرقية . وكانت لا تذكر زوجها بخير ولا شر وعنايتها منصرفة الى تعليم الولدين ما تيسر من القرآن وقواعد الحساب وتدريب البنت على تدبير المنزل . واخذ الدوّار يقفر وبغادره المقيمون بالتدريج ولم يبق فيه الا وسيلة الحبشية وزوجها مرجان فقد ابيا هجر سيدتهما وأغلقت المضيفة والمنظرة ، وبذلت ازهار الحديقة وجف ماؤها . وكانت رقية تسمع احيانا اصوات اجانب يذكرون اسم زوجها ويكتبون في اوراق ويتركون لها اوراقا اخرى ثم ينصرفون فاخبرها الحاج عزب بانهم محضرون من المحكمة المختلطة وقال لها : « ان كنت شاربة من ثدي امك فسأفري والجئي عن هذا الخامر ورديه بالقوة الى بيته الذي خرب واولاده الذين تيمتوا في حياته »

رقية : « كيف اردته بالقوة يا حاج عزب ! قوة ربنا فوق كل شيء »

عزب : « لكن ربنا امرنا بالسعي وترك الجبل على الغارب غلط »

رقية : « صحيح يا ابن خالتي لكن مضى زمن طويل والشيخ مرعي على حاله »

عزب : « طيب يا رقية والاوراق النازلة علينا مثل المطر من المحكمتين الاهلية والمختلطة والبنوك والخواجات ارباب الديون بالربا »

رقية : « كل الاوراق التي وصلت الى يدي سلمتها لك »

عزب : « وانا سلمتها للوكيل وناظر الزراعة فتراكت مثل الهم على القلب ولم يرسلوها الى حضرة البك لان الوكيل نهى عن ارسالها »

رقية : « والعمل ؟ »

عزب : « ما وراء الورق الا خراب الديار »

رقية : « خراب اكثر مما جرى ؟ ان كان كذلك فسافر وسلمه اباها يد بيد »

عزب : « على الرأس والعين ! اعطيني عبد الرحمن لعل الشيخ مرعي يرق قلبه وبذكر اهله ومنزله ! لانه كان احب اولاده اليه »

فبكت رقية وقالت : « يا عبد الرحمن قم مع خالك عزب ! »

وفي صباح احد الايام استيقظ مرعي بك على صوت ينبئه بان ضيفاً من الريف ينتظره فنهض وبه اثر الخمار وفرك عينيه وخرج الى قاعة الاستقبال يتطلى في «بيجاما» من الحرير وامر بادخال الضيف فاستأذن عليه كهل وفتي فلما وقع بصراح الحاج عزب عليه قال : « صباح الخير يا مرعي يا ابني » . فتنبه البك كأنه كان في حلم وقال : « مرحباً بك يا خال عزب انا والله ما عرفتك » فقال عزب مشيراً الى الفتى الذي اخذ يرتجف ويبكي : « وهذا ايضا ألم تعرفه » . فارتج على مرعي برهة وقال : « يا ولد يا عبد الرحمن من جاء بك الى هنا يا ابن الخاسر ؟ » . ولم يصب هذا العتل في شيء اصابته في وصف نفسه ! فارتفع صوت الفتى بالبكاء فضمه الحاج عزب الى صدره . ولم يلتفت مرعي الى نخافة ولده وتغير ملامحه وراثته ثوبه ولم يسأل عن بقية امسره القديمة ولم يخطر بباله واجب الضيافة وكان الكرم شيمته ، بل تناول علبه « سجائر دفريس » وعرضها على الحاج عزب فرفض فقال : « ولماذا حضرتم يا خال » ؟ ولم ينتظر الجواب لانه خشي ان يقف اهل المنزل على حقيقتهم ، فتعلم زوجته الجديدة ، بزوجه القديمة . فقال « خذ يا خال عزب هذا الجنيه واسبقاني الى قهوة عثمان امام جامع قيسون ريثا احضر » فقبل الكهل الميعاد ورفض الجنيه وربما فطن الى الحقيقة . وقام والولد بتعثران في اذبالهما وكانت جفون الولد مبللة بالدموع فلبس مرعي ثيابه وخرج في اثرهما فوجد الكهل جالساً في وقار وتفكير والفتى في همٍّ وألم فسأل عن سبب حضورهما فاخرج الكهل من «دفئته» حزمة كبيرة من الاوراق فتناولها مرعي وفكها واخذ يقلب فيها نظره فادرك انها اوراق قضائية فقال : « ما هذا يا خال عزب » وامتقع لونه واضطرب فكره

نقال له « هذه يا ابني قضايا وحجوزات واقساط البنوك وطلبات المال واوراق الهندسة وورق نزع الملكية »

نقال مرعي : « (مزع) ملكية ؟ كفى الله الشر ! »

نقال عزب : « كل شيء بيد الله »

مرعي : « ومن استلم هذه الاوراق كلها ؟ »

عزب : « اهل البيت واخدم وسلوها للوكلاء والنظار »

مرعي : « والعمل يا خال عزب ؟ »

عزب : « اسأل المحامي وها أنا يا ابني احضرت اليك الاوراق وجئتك بولدك

لأنه كان يبكي طوال الايام ويطلب ان يراك . وقد حصل المراد والسلام عليكم » .

نهض فاخرج مرعي من جيبه عشرة جنيهات ووضعها في منديل وقال لعبد الرحمن :

« خذ يا ولد كسوتك » فاخذا الولد ونظر الى ابيه بعين جامدة كمن يقبل صدقة

العدو مضطراً ، واقترقا

نهض مرعي يحمل الاوراق المؤذنة بخراجه وقصد منزل رفيق في « درب العوالم »

حيث تعاشره سودانية عجوز مصابة بالصرع وهي التي كان ذلك الرقيق المأفون يصفها بانها

« امرئته واهل بيته وبيت العيلة » فلما التقى مرعي برفيق السوء وشيطان حياته وجد في

اجفانه آثار الكرى وعلى وجهه « كابسة الشوارب » وهو يحسو « فئجان مغات » ويقول

« ان المغات » يحجي رميم العظام ، فاطلعه مرعي على الاوراق فلم يرتبك . وقال « المسألة

في غاية البساطة غير اننا لا نستطيع مقابلة صديقي ابي راضي بك المحامي الشهير قبل

الساعة الرابعة فلنخرج نتغدي اولاً ثم نقابله ونأخذ رأيه » . فانطلقا

كان رفيق في ذلك اليوم نادر الكلام ولا عجب فقد كان يضع خططاً جديدة

تتفق مع تغيير الحال . كان المحامي كهلاً سريع الخاطر حوشي الالفاظ فقدّم له رفيق

الاوراق فادرك فوراً سوء حال الموكل الجديد ، وسأل عن سبب صدور الاحكام في

غيبه وإهمال المعارضة في مواعيدها ، فلم يجر مرعي جواباً فقال المحامي : « إنه مستعد

لقبول القضايا ليعمل جهده وانه بحاجة الى زميل مختلط ليباشر قضايا البنوك ولا داعي

للاتفاق على الاتعاب حالاً ولا بأس بدفع مبلغ لحساب الرسوم والمصاريف لان معظم

القضايا من اخصاص الاسكندرية » فدفع مرعي بك ما كان معه وقام ورفيق ، ولم يكادا

يخرجان حتى اسرع رفيق بالاعتذار وطلب الى مرعي ان ينتظره بمحل « الحوافي الملوكي »

فاقتربا ولم يف رفيق بوعده ، فاحرق مرعي من السكر ما شاء وشرب من الخمر ما ظن فيه تفريجاً لهم ، ثم عاد الى بيته بعد نصف الليل ، وحاول محادثة زوجته فثأت عنه فلاطفها فشاكسته فقبل الحضومة راضياً واضطجع حتى الصباح . وفي الغد تراكت طلبات الدار فسدد بعضها وعجز عن بعض فتمرت له وجيدة واهلها وسلقوه بالسنة حداد فقصد بيت رفيق فكتمت جاريته « بشري خير » خبر وجود سيدها . فقصد بعض معامليه من المرابين واقترض مبلغاً يسد به فوهة المنزل ثم خطر بباله ان يتريض فسافر الى حلوان حيث قضى يومين ثم عاد الى المنزل في اليوم الثالث فوجد به اعلان دعوى شرعية من زوجته وجيدة تطالبه بالنفقة فملكته الدهشة والحدة فدخل عليها وخطبها : « صبيح يا وجيدة رفعت دعوى نفقة ؟ » فاجابت بلا حياء : « أليس لي حقوق احافظ عليها مثل زوجتك الفلاحة واولادها ؟ »

فسأها : « ومن اخبرك ان لي زوجة واولاداً ؟ »
وجيدة : « ان رجلاً في سنك ومكانتك لا بد ان تكون له أسرة في بلده وقد اخبرني الذين زاروك في بلدك وقد رأيت ابنك وخالك منذ بضعة ايام »
فقال : « ابني وخالي ؟ »

فقالت : « لا تنكر فقد سمعت الحديث الذي دار بينكم »

فغضب مرعي وملك الغيظ زمامه فكظمه وخرج على قدميه حتى بلغ حانة « سانت جورج » فجلس يشرب لينسى الهموم التي دهمته وتمنى لو يقابل رفيقاً وهو الذي عوده الاختلاف الى تلك الحانة ، ولكن هذه الامنية لم تتحقق لانه كان في شغل منذ اطلاقه على الاوراق فقد عاد بمفرده الى مكتب ابني راضي بك واخبره انه لا يرى بأساً في اشراك محام مختلط ليبلو له غامض الاوراق الفرنسية فخطب الاستاذ اسكودبناكس فحضر وكان يونانياً يجيد العربية ذا عين واحدة مشهوراً بجذقه في اسرار قانون المرافعات وحسن بلائه في اجراءات التنفيذ فوضع الاوراق بين يديه بحضور رفيق وقضوا في درسها نحو ساعتين حتى تبين لهم سوء مركز الرجل وان ثمن الاطيان قد بكفي السداد ولا امل امام المحكمة المختلطة الا في التسوية ولكن النتيجة محزنة ما لم يحدث امر خارق ولا بد من توكيل محام بالاسكندرية لعله ينقذ ما يمكن انقاذه من تلك السفينة المشرفة على الفرق

اما رفيق فاوصى المحامي الاهلي خيراً وفتح باب الامل للاستاذ المختلط وانصرف

ليرسم خطته الأخيرة للاجهاز على صاحبه وهي التفريق بينه وبين وجيده فتحصل على مبلغ حسن ثم يسعى بينها وبين امها واخنيها فتخرجهن من بيتها فتحتاج الى من تركز اليه فلا تجد سواه فيتزوج منها بشروط اولها تنازلها عن نصف الدار ضمناً لحسن العشرة في المستقبل، فبادر الى وجيده وامها في الفترة التي كان مرعي في اثنائها رهين موعده بالخانة واطلعه على حقيقة حال الزوج ونصح لها برفع دعوى النفقة وقادها الى محام شرعي فوكلته الزوجة. ثم ان رفيقاً ايقن باضطرار مرعي للبال واراد ان تكون له يد في الصفقة الأخيرة فسمى حتى اهتدى الى احد المشايخ الذين لا يأتون الجمع بين التقوى « والعشرين في المائة » ورغبه في اقراض مرعي حتى قبل فابقاه للفرصة المناسبة. وكان رفيق يحنني في منزله ويأمر « بشري خير » ان تكتم وجوده ولما علم ان ثمار خطة الطلاق قد نصبت فصد مرعي بك فلما رآه ذلك الاحمق الفخور استغاث به وشكا له فعل وجيده فاصفى اليه كمن يسمع جديداً وقال له ان حل المسألة بالصلح اسلام عاقبة ما دام لم يعقب منها ولداً مرعي : « اي صلح يا رفيق بك كيف نقاضي امرأة في بيتي وعصمتي ونعمتي نفقة » رفيق : « دستور يا بك ! ان البيت بيثها وكونها في عصمتك لا يمنعها من حفظ حقها والكلام في نعمتك او نعمتها نقص وعيب »

فظن مرعي ان رفيق مدفوع بالاخلاص فاستسلم اليه فقادته الى المحامي الشرعي وكيل وجيده فلقياها لقاءً حسناً وبدأ يسرد ادلة وجيده وحججه القوية ويستشهد بقضايا نسب لنفسه فضل كسبها واثار الى شفقة القضاء على السيدات. وكان رفيق صامتاً كمشاهد لانسره النتيجة ولا تسوده. فاخذ مرعي بسلامة نيته يسرد تاريخ زواجه بوجيدة ورفيق يتقلى على الجمر ولا يتكلم فكان المحامي يلين حيناً لطيب عنصره ثم يعود فيشتد بحكم مهنته وكان مرعي يستجيد برفيق فلا يجده، ويستشهد به فلا يوبئه، حتى سقطت جميع حججه فاستسلم المسكين للصلح بجميع شروطه ومنها الطلاق وموخر الصداق ونفقة العدة ومجموع المطالب ثلثمائة جنيه ولكنه اعتذر بالضيق الوقي فنطق رفيق بعد الصمت الطويل واقترح عليه « حسماً للنزاع » الالتجاء الى الشيخ مبروك ليقرضه المبلغ المطلوب فقبل مرعي ووقع على الصلح ثم على سند الدين. ومنذ تلك الساعة لم يعد مرعي الى منزل الخلمية فلما الى فندق « الضيف الكريم » وارسل في طلب ثيابه وهي كل ما يملكه من البيت الذي دفع ثمنه وثمان ما فيه من اثاث ورياش وانفق على ساكنيه جملة اعوام ! .. وكانت ديونته قد بلغت خمسة عشر الف جنيه اضاعها في خمس سنين في القمار

وسباق الخيل ونفقات المنزل والزواج والطلاق وافراح الاصهار ومآتمهم ، ومصاريف الاصطبل واثمان الثياب واتعاب الحمامة وفوائد القروض ورسوم المحاكم . فلما تأبدت الاحكام ورفضت المعارضات واستحضرت الشهادات ومضت مواعيد التنبيه والتسجيل وأُعلن ارباب الديون الثابتة وتمت اجراءات النشر وتحولت الدعاوي على قاضي البيوع بالشروط المنصوص عليها في القانون وقائمة المزايا بيعت الارض صفقة واحدة ورسا مزاها على البنك بعد ان حل محل غيره من الدائنين لينقي طول اجراءات التوزيع فبلغ ثمنها مقدار الدين تقريباً ولم يبق للمدين كثير ولا قليل وكان البنك نزع ملكية ارض الست رقية ، لولا ان ادركها الحاج عزب فاسرع الى الاسكندرية ووكّل محامياً في المعارضة في « تنبيه نزع الملكية » وفي دعوى « استحقاق العقار » عن الثلاثين فداناً وقدم اعلام الوراثه واوراق المال والكشوف الرسمية وما زال ذلك الربني الصالح يجاهد ويمد المحامي بالمعلومات ويحرك شفقتة على الام والاولاد حتى حكم نهائياً بقبول المعارضة في التنبيه واحقيتها وتثبيت ملكها وبذلك ضمن لها ايراداً ثابتاً يكفيها

وعلم الشيخ مرعي ان جميع ما كان في حوزته من مال ثابت ومنقول بيع بالمزاد وكان رفيق السوء قد تزوج من وجيدة بمجرد انتهاء العدة بعد ان مهد للفراق بينه وبين صاحبه القديم بقوارص الكلم والقطيعة واقام في البيت الذي اشتراه مرعي بماله . وكان مرعي لا يعلم بهذين الامرين فحدثته نفسه يوماً ان يقصد بيت مطلقاته ليزور حماته ونسبته « النبيلين » حفيدي الخربوطلي باشا . فخرج اليه طامراً واخبره ان « لا يسكن هذا البيت احد سوى الست وجيدة هانم حرم حضرة رفيق بك » . فرفع مرعي عينيه عرضاً الى نافذة الغرفة التي كان ينام فيها ، فالتفت بعين وجيدة ، فحاول الكلام ففص بريقه وسمع صوتها تقول للطاهي « اصرفه يا عبده واقفل الباب » فلم ينتظر امر الطاهي بل سار من تلقاء نفسه يتعثر في اذيال الندامة والخلجل ولم يبق حتى سمع الناس تصرخ : « حاسب يا افندي » فاذا هو في منتصف الشارع يكاد يذهب فريسة الترام . فاسرع الخطي وسار بغريزته قدماً ليتوارى عن الاعين حتى بلغ باب مسجد عال . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب فجلس على اول درجات السلم ووضع رأسه بين راحتيه وبكى ! فلما نهض كان الظلام قد ارخى ذوائبه وبدأت الانوار تلتقي من اشعتها شباكاً على الكائنات وملاً فضاء الليل بصور واشباح فسار في طريقه يترنح ويتخبط كمن ضل الطريق ، وما زال كذلك حتى بلغ خان الخليلي على غير هدى فذكر السيد فرج الي الخير فقصد مقبره فوجده

مطلقاً فضاقت الدنيا في عينيه ، ولم يستطع حراكاً فبصر بمقعد طويل من الخشب العتيق وكان قد بلغ منه الاعياء فارتمى عليه واستسلم لنوم عميق ، وقد اغفلت العناية عنه اعين الحراس ، فلما افاق كان الصبح قد تنفس ، واقبل السيد فرج وراه فاكرمه وسأله عن حاجته فافضى اليه برغبته في تغيير زريه والسفر الى بلده فقام التاجر بواجب المودة والوفاء . اما الشيخ مرعي فلم يجرؤ على دخول بلده ونرجل في شبراخيت وقصد خربتا حيث نزل ضيقاً على الشيخ عثمان الوكيل من اعيانها وكان ممن عركوا الدهر وذاقوا حلوه ومره فلم يسأله عن شيء ولم يظهر علمه بحاله بل بالغ في اكرامه . وبعد اقامة شهرين طلب مرعي الى الشيخ عثمان ان يكتب في شأنه الى الحاج عزب ففعل فسأل الحاج عزب رقية رأيا في ابن عمها وزوجها القديم فلم تقبل مصالحته واصرت على رغبتها في اثبات الطلاق وقالت ان الموت احب اليها من معاشرة هذا المختال النخور ، بعد ان قطع الرحم ، واضاع التراث واتبع هواه ، ، وكسرت شبابها على تربية اولاده . ولكنها تنزل عن خمسة الدنة من ارضها توجرها للحاج عزب على ان يوجرها لمرعي بقيمة المثل . فركب الحاج عزب الى خربتا وعرض الشرطين على مرعي فقبلهما وحرر لرقية وثيقة الطلاق وعاد بعد بضعة ايام تحت جنح الظلام الى قريته واقام في بيت ثعلب الدهشات وهو اصغر دور القرية واقصاها وارسل لحيته وقد شابت كل شعرة فيها ، ولو استطاع تغيير اسمه لفعل ، اما اولاده فكانوا يزورونه فيلقاهم كرجل غريب القلب والعين واللسان وقد انطفأ من قلبه سراج الحب وتحطم من نفسه هيكل الوفاء ! وكان الحاج عزب يزوره ويعزيه ويساعده في زراعة الارض ويغريه حيناً بالمرور بالدوار الذي احتله المالك الجديد فاذا بدا له انقباضه قال له « تشجع يا سعادة البك من فات قديمه تاه ومن ترك شيئاً عاش بلاه ! » فلا بدري مرعي بك أكان هذا القول عزاءً ام تشفيماً ، فلا يجيب عليه

واذ كان مرعي ينقب يوماً في اوراق مهمة عثر بعدد جريدة المؤيد الذي نشر فيه خبر الانعام عليه بالرتبة الثانية فلما اعاد قراءته اخذ يحدق في تلك السطور ويقلب اجفانه في الصحيفة الحمراء كأنه يستعيد من خلالها ذكرى الماضي ويستحضر اشباحه المندثرة فاذا به يرى فجأة وجه رفيق وكأنه يسمع صوته وهو يقول : « لا وسيلة للوصول الى تلك المقامات الا بالرتبة الثانية مع لقب بك . ان ثروتك يا شيخ مرعي ومكانتك بين قومك تحتمن عليك الحصول على الرتبة الثانية واللقب فتخلص بهما من لفظ الشيخ فتصير نوراً سعادة مرعي بك صبيح » انتهى

محمد لطفي جمعه الحامي

البحث العلمي ومكافأة العلماء

من الامور المعروفة ان جانباً كبيراً من ثروة الامم في هذا العصر ناجم عن المباحث العلمية التي طبقت على الصناعة والزراعة والمواصلات والمحاطبات وغيرها ولذلك يرى كثيرون من المفكرين أن الانصاف يقضي بمكافأة العلماء بجانب من هذه الثروة التي يتقاسمها العمال واصحاب الاموال. ومن اشهر الداعين الى هذا العمل السر رونالد روس مكتشف اسباب نقل الملاريا ومن رأيه ان العلماء الذين اكتشفوا مكتشفات علمية ذات شأن يجب ان ينالوا من خزينة حكومتهم معاشات تكون على الاقل معادلة لمعاشات القواد. وقد اطلقنا الآن على رأيي في هذا الموضوع لمستر هلدان احد الاسانذة بجامعة كمبردج فاقتطفنا منه ما يلي اذا اكتفين بنظرة عجيلى الى الرأي القائل بوجود مكافأة العلماء اقتنعنا بصحة حالاً. فكثيرون من اصحاب الاعمال العقلية كالمؤلفين والموسيقين والمصورين والنقاشين يتمتع الواحد منهم بدخل كبير متى بلغ درجة عالية في الفن الذي يعالجه. اما العالم فلا امل له ان ينال اكثر من الف جنيه في السنة وفي الغالب يحسب نفسه موثقاً اذا ظفر بمنصب مرتبه الف جنيه. واما العلماء الذين لا ينالون سوى ٣٠٠ جنيه في السنة فغير قلال. واذا شاء احدهم ان يزيد دخله السنوي تحتم عليه ان يخرج عن جادة البحث العلمي الصميم فيستخدم مواهبه ومعارفه في الامور الصناعية او في تأليف الكتب العلمية البسيطة التناول او في غير ذلك من الاعمال التي يكثر عليها الطلب وتعود عليه بالكسب الوفير. وفي تلك الحال يفقد العلم ما كان هذا الرجل قادراً ان يكشفه لو استمر في بحثه. ولا يخفى ان العلماء لا يكسبون شيئاً من تسجيل مكتشفاتهم لان كثيراً منها لا يسجل. فالعالم بالحيوان لا يستطيع ان يسجل نوعاً جديداً من السمك ككشفه ولا الفلكي كوكباً عثر عليه. والآداب الطبية تحظر على الباحثين في الامراض واسبابها ووسائل علاجها ان يسجلوا اساليب العلاج الجديدة واهنكارها. كذلك لا يستطيع الكيمائي ولا العالم الطبيعي ان يسجل مكتشفاته الكبيرة لسببين اولهما انه لا يعلم متى يستفاد من هذا الاكتشاف او ذاك عملياً. فلما كشف رنشر دصن القوانين التي يجرى عليها انطلاق الكهارب من المعادن الحارة لم يخطر له انه كشف وسيلة تبنى عليها المحاطبات التلفونية اللاسلكية فيما بعد فلم يكن في امكانه ان يسجل اكتشافه تسجيلاً

يمنع تطبيقه في المستقبل . ولقد كشفت حقائق كثيرة متعلقة بالكهرباء المنطلقة من المواد المشعة لم تطبق حتى الآن تطبيقاً عملياً ولكنها لم تسجل تسجيلاً يمنع احداً من استخدامها في المستقبل . ثانياً اذا عظم الاكتشاف طال الزمان الذي ينقضي قبل الانفعاع به فقد انقضى زمن طويل على اكتشاف فرايدي لمبادئ المحرك الكهربي قبلما بدى بالتوسع في صنعه صنعاً تجارياً . مع ذلك لم يكسب فرايدي ملياً واحداً من اكتشافه هذا وورثته الشرعيون لا ينالون ربحاً عليه مثلاً ينال ورثة الاميرال نلسن لانصارو في معركة طرف الغار

واذا نظرنا الى الفرنسيين وجدنا انهم لا يكافئون رجال العلم عندهم بما يكفي لميشتهم . ولكنهم يقيمون لهم تماثيل فخمة حينما يموتون ويدعون الشوارع باسمائهم . ولعل التمثال او تسمية الشارع باسم عالم راحل اقوى باعتماداً على شحذ الهمم من زيادة المرتب او دفع المعاش للورثة

ولا ريب في ان وضع نظام لمكافأة العلماء يصطدم بعقبة كؤود هي الصعوبة في تقدير قيمة اكتشاف علمي في الوقت الذي يكون العالم قادراً ان يتمتع بنتائج هذا التقدير . وقد يجي اعتراف الامة باكتشافه بعد موته او بعد ما يبلغ من السن ما لا يفيد معه جمع المال . والمرجح ان اللجان التي تعين لمكافأة العلماء تهتم بما يكشف من الحقائق الجديدة اكثر مما تهتم بأسلوب جديد للبحث . نضرب مثلاً على ذلك منح جائزة نوبل للطب الى بانتنغ ومكلود لكشفهما الانسولين — المادة التي اذا حقنت في الدم ازالته اعراض البول السكري . فان كل المواد التي حضرت قبل الانسولين كانت تجرب في كلاب حتى ينظر في ما لها من اثر في مقدار السكر في الدم . ومن المعروف ان تحليل الدم تحليلًا دقيقاً حتى يعرف ما فيه من السكر عمل دقيق جداً وخصوصاً متى كان الباحث يشتغل بنقطين فقط من الدم . هذا التحليل لم يبلغ الدرجة من الدقة التي بلغها الآن الا بعد ٦٠ سنة من البحث الدقيق في ماث المعامل الطبية والفسولوجية وقد استغرق ارتقاؤه وقتاً طويلاً واقتضى دقة ومهارة اعظم مما اقتضاه كشف الانسولين في تورنتو فاعطيت الجائزة لمكتشفي الانسولين لا للذين مهدوا السبيل لاكتشافه

فاذا وضع نظام لمكافأة العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم فلا شك ان كثيراً من المكتشفات العلمية تبقى مجهولة لا تنال المكافأة الجديرة بها . ما من نظام مهما كان محكماً يستطيع اصحابه التنبؤ بما يكون حكم المستقبل على مكتشف من المكتشفات وفوق ذلك

فانه يحول العلماء عن البحث العلمي المحض الى البحث عن امور تسترعي الانظار حتى يفوزوا بالمكافآت . فلو وهب احد الاغنياء من خمسين سنة مكافأة قدرها مليون ريال لعل من يكشف مادة اذا حققت في الدم ازالته اعراض البول السكري لتحويل كثيرين من الباحثين الذي وضعوا الاسلوب الدقيق لتحليل الدم عن بحثهم هذا الى البحث عن الانسولين ولعجزوا عن الاثنين

ثم لننظر في امر آخر . ما من اكتشاف كيمائي احرى بالمكافأة من اكتشاف عنصر جديد . ولقد كشف في السنوات الاخيرة اربعة عناصر جديدة . ولكن هذه العناصر لم تكشف الا بتطبيق قانون موزلي الذي يعين علاقة محدودة بين طيف اشعة اكس وعدد العنصر الجوهري . ولم يتوصل موزلي الى وضع هذا القانون الا بعد مباحث حمة وقياسات دقيقة نجم عنها شبه اداة يستعملها الكيمائي في كشف العناصر الجديدة . مع ذلك ارجح ان قانون موزلي لم يذكر في الصحف على الاطلاق حين كشف وأرتاب كل الارتباب في هل يرضى الشعب عن توزيع اموال الدولة على امثال موزلي مكافأة لعمل لا يدرك قيمته ثم ارتأى الاستاذ هلدان ان انشاء نظام يكافأ به العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم لا يفي بالغرض ولذلك اقترح انه يُضمن للاساتذة والباحثين في الجامعات والجمعيات العلمية مرتبات تكفيهم ليكونوا في بسطة في العيش . وعنده انه يجب الاهتمام بنوع خاص بالمباحث العلمية المحضة ، وان يفصل اذا امكن ، بين رجال البحث العلمي المحض ورجال التعليم . اذ قد يكون احد الباحثين من اقدر الناس على المباحث العلمية واستنتاج النتائج منها ولكنه قد يكون من اضعفهم في سرد الحقائق على جمهور المتعلمين ثم قال

لقد مضى الوقت الذي نستطيع فيه ان نكافي فراداي وهرتز وباستور ولكننا نستطيع ان نكفل خلفائهم ما يمكن كلاً منهم من تربية عائلة مؤلفة من خمسة اولاد وتعليمهم تعليماً راقياً والحصول على بعض الكماليات كاتوموبيل صغير . انني لا استطيع ان اذكر الآن منصب استاذ واحد في بلاد الانكليز او فرنسا يُضمن هذه الشروط . فعلى رجال البحث العلمي ان يختاروا بين ترك البحث الذي تفرغوا له او عدم الاقبال على الزواج او تحديد العائلة . واني اعرف كثيرين من اكبر رجال العلم الذين تركوا البحث العلمي فصاروا صحافيين او تجاراً فكسبوا اموالاً طائلة ولكن ماذا كسب العالم — بل كم خسروا وبعضهم يكتفي بولد او ولدتين وفي هذا خسارة ايضاً لان جانباً كبيراً من المقدرة العلمية يورث

حاضر العالم الاسلامي

التطور الاجتماعي ^(١)

اثر التعليم الغربي في البلدان الشرقية

كفى دليلاً على ما لهذا التطور الذي نشهده اليوم في الشرق من الشأن والعظمة ، ما هو مقلد في افق الحياة الشرقية من ضروب الانقلاب ، وتجدد المنازع والانتقال من هيئة الى هيئة ، اذ ان المؤثرات الغربية الفاعلة فعلها العظيم في تحول اشكال الحكومات والادواخ السياسية ، والمعتقدات الدينية ، والتطورات الاقتصادية ، هي فاعلة ايضاً في اطوار النظام الاجتماعي ، وليس شأنها في هذا المقام بأقل منه في سائر مواضع الانقلاب الشرقي . وقد اتينا في الفصل الثالث من هذا الكتاب على بيان موجز عما للمؤثرات الغربية من الشأن في الاطوار والتارات التي تقدم الكلام عليها . وغايتنا في هذا الفصل ان نبسط الكلام على التطور الاجتماعي الحادث اليوم في العالم الاسلامي

لا مرأى في ان هذا التبدل خطير عظيم ، على كونه لا يخلو من غموض يظهر في بعض المواضع ، خلافاً لسائر آفاق الانقلاب الآذنة بكل جلاء ووضوح . والسبب في هذا الاستيهام هو ان للعادات المتأصلة والتقاليد المتمكنة في حياة الفرد والامرة والجماعة في الشرق سلطاناً قوياً وشوكة نافذة ، يحملان غير المتعمقين من اهل الاستقصاء في شؤون الشرق على ان يمنحوا الى القول المؤكد بأن هذه العادات والتقاليد لم تبرح على حالها القديمة من الرسوخ وشدة التأثير ، بحيث على زعمهم ، لم يتناول التطور الحقيقي داخلها مثلاً تناول خارجها ، ولا تغفلت روح الانقلاب في باطنها كما احاطت بظاهرها ، ولو بلغ الانقلاب المادي وتحول ظاهر الحياة ما بلغنا على ان هذا الرأي الذي يقول به هؤلاء القوم الذين لا يعملون على التحقيق في المسائل ، هو مما لا يجيزه اهل العلم والبحث ذوو النظر النافذ في امرار الانقلابات ، وان الشرقيين انفسهم ليستهنون بهذا القول وامثاله ،

(١) هذا الفصل من كتاب حاضر العالم الاسلامي الذي وضعه الدكتور لوثر ب ستندرد الاميري وقته الى العربية عجاج افندي نويض بلغة فصيحة وعلق عليه حواشي مسبهة غزيرة المادة العالم الحق الامير شكيب ارسلان

و يفندونه بالحجة والبرهان ، و يؤيدون حدوث التطور الاجتماعي ونتائج بسنة التحول التي
 لن يجد لها الناس تبديلاً

واهل الشرق لعمرى على حق فيما يقولون و يبينون ، فان قيل ان الشرق صاعد
 بمعراج الترقى مادياً ، من حيث هو لم يزل على حاله من السكون والجود والفرارة من الجبهة
 الاجتماعية فانما ذلك تجاهل وتعام عن الواقع ، ومكابرة في الحقيقة التي بات لا يختلف في
 ثبوتها من اهل الاستقصاء الصحيح اثنان ، اذ ان الانظمة الاجتماعية لتبدل ابدأ بالموثرات
 المادية الحسية ، تبديلاً لا يقل عن ذلك الذي يتم بقوة الموثرات الادبية المعنوية ، والآراء
 والمجردات . استطيع من ينظر في ما دون العرض الغاشي ، نظر المتأمل المستبصر ، ان
 ينكر ما للقطر الحديدية والبرد والاسلاك البرقية من قوة العمل والتأثير في سير الترقى
 الاجتماعي والادبي والحضاري ؟ اما من شأن ، اجتماعي ومادي ياترى ، لما يقتبس الشرق
 من الغرب و يأخذ عنه من فئات المحدثات والمخترعات ، بين ثمين ونافه ، وخطير وحقيق ،
 وضار ونافع ؟ . انخلو من معنى كون قبر صاحب الرسالة الاسلامية في المدينة المنورة غداً
 كالنكوكب نثلاً ، فيه المصابيح والاضواء الكهربائية ، وان الرقاع البريدية المصورة
 صارت تباع على ابواب الكعبة المقدسة في مكة المكرمة ؟ اجل ، قد يستغرب المدقق
 اول الامر من ان المؤذن اضحى يذهب الى المسجد راكباً قطاراً كهربائياً ، وان التاجر
 المسلم اخذ يخرج من مخدع حرمه فيتناول صحف الصباح فيقف على انبائها واخبارها ، ثم
 يمتطي سيارة الى بيت تجارته ومعته سجادة الصلاة . ثم اذا ما فرغ من اقامة الصلاة
 انقلب تارة الى تلفونه وطوراً الى آلة الاملاء يفرغ فيها نصوص الرسائل والكتب التجارية
 فلماذا نحن نسلم بان للمسجد ومخدع الحرم وسجادة الصلاة شأناً مؤثراً في حياة المسلم وتكييف
 معيشته على الجملة ، حينما ننكر ما لجميع المحدثات والمخترعات التي اخذها الشرق عن الغرب
 من التأثير في تكييف حياة المسلم الاجتماعية ؟ اصف الى هذه الاسباب الحسية المادية ،
 الاسباب الادبية المعنوية مثل العلوم الطبيعية ، والوسائل الغربية الحديثة التي جعلت
 للتلهي والراحة ، وتحرر المرأة نوعاً ما ، فتبدو لك للحال اهمية التطور الاجتماعي الحادث
 اليوم ، واتساع افقه

على ان هذا التطور الاجتماعي قد اتسع نطاقه في الاقطار الشرقية التي هي اكثر
 تعرضاً من سواها لتيار الموثرات الغربية وكان مبدأ ذلك منذ نحو من نصف قرن . لما
 عاد المستشرق الهنغاري ثيمباري الى القسطنطينية سنة ١٨٩٦ بعد غيبة من الزمن طالت

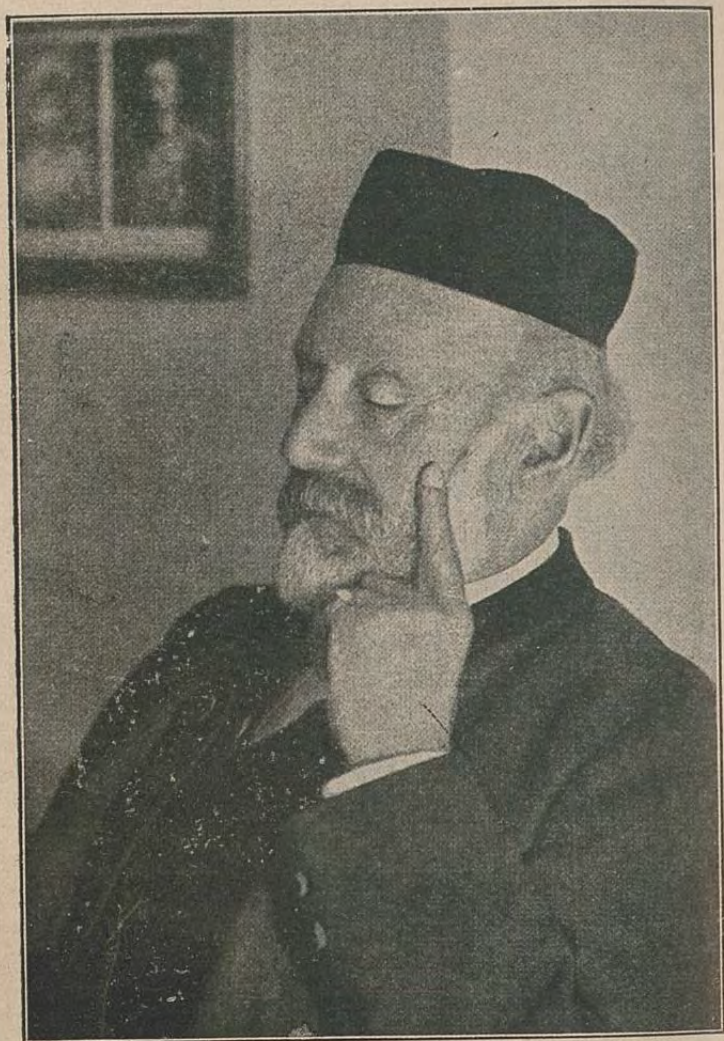
اربعين سنة ، دهش حقاً مما شاهده من عظيم التحول والانقلاب ، والاستانة عهدئذ راسفة بالاغلال الحميدية ، فقال : « عند ذلك طفقت أسائل نفسي أهولاء يا ترى هم الترك الذين رأيتهم سنة ١٨٥٦ ، وكيف قد تمت جميع هذه التطورات الكبرى ؟ ولشد ما كان عجبى لما اخذت اقلب نظري في مظاهر المدينة وصورها فرأيت المباني الحجرية الجديدة ، قد قامت مقام الخشبية القديمة ، والاسواق ، والشوارع ، دبت فيها عوامل الحياة ديباً ، فجرت فيها المركبات المزينة بتجرها الجياد المطهمة ، والقطر الكهربية تنساب في جميع الانحاء ، كل ذلك مما لم اراه في مثل هذه الاسواق والشوارع وهي اذ ذاك مختلط تزدحم فيه الدواب والعجلات القديمة الطراز . وسمعت جلجلة الآلات المتحركة تخالطها اصوات المؤذنين الذين يجأرون الله من على رؤوس المآذن . فظهر لي من جميع ما شاهدت وسمعت ، وعرفت وخبرت ، ما هو مناقض للقول المأثور ان « لا بدعة في الاسلام » . وقد كان دهشي اشد وعجبى أبلغ لما دخلت المنازل والبيوت فلم يكن بوسعي سوى الاعظام والاكبار ، ليس لما شاهدته من كفيات التحول الظاهرة فقط ، بل ايضاً لما هو اجل قدراً من التطور المعنوي الكبير . فبدأ لي ان طبقة الافندية (اي المتهذبة) في الاستانة قد تبدلت من حال الى حال ، وانتقلت من دور الى دور ، في مجتمعا وطرازها الخارجي وطرق اتصالها بالغربيين »

وبعظم فمباري شأن الارتقاء الداخلي كما يعظم شأن الارتقاء الخارجي ، في الطبقات التركية التي تناولها التهذيب والتعليم ، فقال في هذا المعنى : « قد غدا التركي اليوم يرتاح الى العادات والآداب الغربية ارتياحاً كبيراً مشهوداً ليس في المظاهر والصور الخارجية فقط ، بل في اسلوب المعيشة المنزلية ايضاً ، وذلك من صفة الاثاث والمتاع ، وآداب المائدة ، واحترام المرأة ، وغير ذلك . ان هذا الطور الجديد لجيل الشأن ، لانه معلوم ان الشعب الذي يقبل على تشرب العوامل وقبول المؤثرات الغربية السائقة الى الترفي العقلي ، عند ما يصفوا اعتقاده بان هذه المؤثرات انما هي صالحة له ، لا يستطيع الافلاع عن مألف عاداته الثابتة الصبغة ، المتأصلة في مزاجه وطبيعته ، الا بشق الانفس . والترك قد لقوا الشدائد في هذه السبيل ، فذلوا العقبات ، وتغلبوا على المكاره ، حتى ضربوا من التجدد بسهم وافر . ورأيت ان الشعور الشديد بضرورة ملابسة الحضارة الغربية والتحقق بها ، قد عم المجتمع التركي بأسره حتى رجال الدين . ولكن جماعة أهل

الرأي على اختلاف في كيفية التطبع واسلوبه ، فبعضهم يبتغون اعطاء ما يودون اخذه عن الحضارة الغربية صفة وطنية وصبغة قومية ، والبعض الآخر على الضد من هؤلاء ، اذ يبتغون انفعال ثمديننا العقلي على علانيته . ويا بون كل تكييف له ولو قليلاً »

والامر الاعم هو ما شاهده قمبراري من شأن النساء المخدرات القابعات في اكسار بيوتهن ، وقد تغيرت الآن حالهن وتحولت صور حياتهن الى حد يقضي بالعجب . قال قمبراري : « وازيد القول تأكيداً ان المرأة التركية قد تبدلت اساليب حياتها بدلاً شاملاً عفا معه كل اصل قديم خلال الاربعين سنة الاخيرة . ثم ان هذا التطور قد تم امره بسببين : الاول اعتقاد الترك بان التجدد ضروري لهم في هذا العصر ، والثاني الضغط الشديد الطاريء من الخارج » . واذ لاحظ قمبراري انتشار تعليم البنات وزيادة نصيب المرأة في القيام بتدبير الحركات الاصلاحية وتنظيم الدعوات وبثها في هذه السبيل ، قال : « ان هذا الامر حيوي للامة لانه متى ما شرعت المرأة تقوم بواجباتها في الحياة المنزلية بصفة كونها عاملاً من عوامل الارتقاء الحديث ، فان الاصلاح الحقيقي لا بد له من ان يثمر ثمره في المجتمع والدولة والحكومة »

ويبين « خوجه بوخش » ، المسلم الهندي الحر ، وهو من اهل الاطلاع الصحيح على شؤون بلاده ، ان الحياة الاجتماعية في الهند غدت في تطور كبير وذلك بسبب ما نشرته من المؤثرات والعوامل الغربية ، كما هي الحال في تركيا ، و يوضح خطورة هذه الادوار الشديدة التي لا بد من اجنيازها ، ادوار الانتقال من حال الى حال ، والخروج من القديم والولوج في الجديد . وهو متشائم من هذا ، لانه يعترف بان « دور التطور انما هو بحكم الضرورة الى حد معلوم ، دور فساد في الآداب ، وانحطاط في الاخلاق ، وعبث بالدين ، مما قد يحسبونه عرضاً ويزول ، ومرضاً وپبراً ، ولكن لا مبرى . لهذا سوى كرور الايام » ولكن هذا الخبير الكبير ، مع علمه بجميع ما ذكر فانه لا يقلل من خطورة الدور الحالي الذي اقل ما يقال فيه انه هادم لاركان النظام الاجتماعي القديم هدماً فقد قال : « ان اوضح نتيجة لهذا التطور هي تزلزل نظامنا القديم القائمة عليه حياتنا المنزلية ، وعاداتنا الاجتماعية . وسبب هذا التزلزل انما هو تيار الحضارة الغربية ، وهذا الامر الواقع اظهر ما يكون في موضعين : معتقداتنا الدينية ، وحياتنا الاجتماعية . ان النظام القديم ، على جميع عيوبه كان مشتملاً على فضائل جمّة واقية » . اما اليوم فقد انهار هذا النظام القائم على ضيق المدارك



المستشرق المجري فمبيري من ترجمته في مقتطف نوفمبر سنة ١٩١٣

مقتطف مايو ١٩٢٦

امام الصفحة ٥٢٤

لا بل على التظاهر بخوف الله وطاعته ، وحل محله « استقلال فكري عملي غريب .
نفث صفة احترام الماضي ، وأكرام الكبار والشيوخ ، واعتبار قال فلان وروى فلان .
كان الاب في ظل النظام القديم رب العترة ووليها الحميم ، وكانت كلمته فيها شرعية مطاعة
وامراً مقضياً ، وكان حارس مقامها وراعي حرمتها ، وحافظ شأنها . اما الآن فقد اصبح
مجرداً من جميع المنزلة التي كان عليها من قبل ، وراح اصغر فرد من افراد الاسرة يبتغي
الاستواء معه في كل شأن من الشؤون ، وينازعه السيادة في كل امر من الامور »

وبأسف المستر بوخش اسقاً لما هو منتشر من تيار الاسراف والتبذير والانفاس في
الزرف ، وذلك ولا شك ناشئ عن اقتباس عادات الاوربيين وتقليدهم في جميع اساليب
المعيشة تقليداً اعمى جامعاً للضار والفاسد والعت والسمين . ثم يسائل المستر بوخش نفسه :
« ماذا لعمرى تم في الهند ؟ اننا قد اتخذنا ازياء اوربية في لباسنا ، واساليب اوربية في
مبشنتنا ، ولم نكتف بذلك بل جاوزناه الى عادات شرب الخمر والمقامرة والميسر ، ولكننا
لم نأخذ شيئاً من الفضائل الغربية ، فيجب مداواة العلة قبل استفحالها وتطبيب السقم قبل
الاعضال . يجب علينا ان نتعلم من اوربا ولكن دون ان نهدر في سبيل ذلك كينونتنا
الادبية ووجودنا المعنوي . اننا لم ننتبه الى الخطر الذي حاق بنا فسرنا في التقليد سير
ضلال ، وجل ما حصلناه اننا خضنا خوضة قليلة في التاريخ الانكليزي والاوربي ، ثم
طفقنا نزدري ديننا وآدابنا وتاريخنا وثقاليدنا . ولم ندرس ماضينا ولا اطلعنا على انباء
حضارتنا ولا نبينا ركنا جديداً ، ولا شيدنا لمجتمعنا قواماً قوياً حديثاً يثبت به غير
منزعزع على صروف الدهر وتقلبات الازمان . وعلى الجملة فاننا قد افسدنا حياتنا افساداً
من حيث لم نبأمر لذلك اصلاحاً »

وبؤ كد المستر بوخش القول مثل قعباري ، ان المرأة الهندية سائرة في سبيل التحرر ،
اذ اتقضى العصر الذي كانت هي فيه سلعة تباع وتشترى « فصارت المرأة المسلمة اليوم في
الهند تعلم وتهذب على ازدياد . وغدت تعرف حقوقها وتحسن الدفاع عنها . نعم ان نظام
« البردة »^(١) لم يزل شائعاً ولكنه ليس من الشدة وايجاب العزلة كما كان منذ خمسين
سنة خلت ، بل انه اوشك يسقط ويندثر ، وشرعت النساء بتدرجن في نيل حقوقهن
الى ان يبلغن اليوم الذي يدركنا فيه السوي الكامل لتحرر المرأة الشرقية . كانت نساء

(١) البردة بلفظ أهل الهند معناها الستر بعد المخدرة في ناحية من المنزل

بلادنا منذ اربعين سنة موضوع الاحتقار بل خشونة المعاملة من ازواجهن . اما اليوم فقد تبدلت حالهن كثيراً ، وبنن يعملن لنيل جميع حقوقهن ، واعزاز مقامهن

بهذين البيانين — الموصوف بهما التطور الاجتماعي في الشرقين الادنى والاوسط — ندرك ماهية الانقلاب الحادث اليوم في الشرق . ثم ينبغي لنا ان نذكر ان هذين الكاتبين قد وصفنا حال الطبقات الراقية المتهذبة في المدن والخواضر الكبرى ، والحقيقة ان الاختلاف سار سيراً عظيماً وانبث انبثاً شاملاً ، في جميع آفاق المجتمع ، متناولاً طبقات الامة الواحدة بعد الاخرى ، وتراه دائماً على اتساع وامتداد

ان انتشار التعليم الغربي في الاقطار الشرقية خلال بضعة العقود الاخيرة ليدعو للاعتبار لانه قد نقض ما هو معهود في الشرق منذ القديم من نظم التهذيب والتعليم . فقد كانت اصول فن التعليم الجارية على سنن التقليد في جميع الشرق ، من مراکش حتى الصين ، لا تخرج عن حد تحفيظ الكتب الدينية والاسفار المقدسة تحفيظاً مقروناً بتعليم فروض الدين وممارسة شعائره . وكان الطالب المسلم او الهندوي يقضي سنين عديدة يتلو على معلمه او مدرسه فصولاً من الكتب الموضوعة بالعربية الفصحى او السنسكريتية ، الكتب التي لا يستطيع ادراك معاني عباراتها وتراكيبها ، ولا فهم اغراضها ومدلولاتها ، فكان نظام التعليم على هذا النمط حائلاً شديداً دون اتساع المدارك العقلية ، فتبطل القوى الدماغية جميعها ما عدا قوة الذاكرة ، وتذهب قوة الابتكار العقلي

ولم يبرح هذا النظام الفاسد متبعاً حتى اليوم في بعض الشرق ، وما انفكت الملايين من النشء الشرقي تفني الاوقات الثمينة في معاناة التعليم على هذا المنوال الحائل دون نمو القوى العقلية والادراكية . على ان نظاماً جديداً شرع يماشي ذاك القديم منازعاً له ، وملاشياً اياه ، وهو يشيع وينتشر في جميع المحيط التعليمي ، من كتابات الاطفال حتى الجامعات والكليات الكبرى ، فصار الناشئ الشرقي يرتفع افاقه العلوم على مناهج غربية صحيحة ، وهذه المنشآت العلمية الحديثة الطراز هي على ضروب مختلفة . فهناك الى جانب المدارس والكليات والجامعات — التي تعلم تعليماً حرّاً وتعد الطلاب للقيام بالخدمة الحكومية او المهن الحرة — عدد كبير من المدارس الصناعية والزراعية تخرج للشرق حذاق الفنيين والزراعيين والمهندسين ، ومدارس دور المعلمين تعد المعلمين اعداداً حسناً يتأهلون به لتعليم النشء المقبل وثقيف عقولهم على الاصول الصحيحة والاساليب السليمة.

والمدارس الاميرية والخاصة لا نفي في توسيع التعليم على الطراز الغربي وفي زيادة نشره في الشرق . وقد كان من شأن جميع الحكومات الاوربية الاخذ بنصرة التعليم الغربي في الاقطار الداخلة في سيطرتها وحكمها ، ولا سيما الحكومة البريطانية في الهند ومصر بينما هناك البعثات التبشيرية النصرانية المختلفة قد انتشرت وانبثت في آفاق الشرق ، وانشأت عدداً كبيراً من المدارس والكليات ، وبينما كثير من الحكومات الشرقية مثل تركية والحكومات الوطنية في الهند باذلة غاية المستطاع لنشر التعليم الغربي في شعوبها ورعاياها نشرأ متواليًا مباركاً

على ان النتائج الحاصلة الى اليوم ليست غاية في الكمال المطلوب . ولا غرابة في ذلك لأن الدور دور تطور وانقلاب ، وتغير وتبدل ، ولان التقاليد الفاسدة المتسلطة من ماضي الاجيال ما انفكت تعترض جهد الاقوام الساعية بمجد في سبيل تحرير التعليم من جميع النقائص التي لم تزل عالقة به . لهذا السبب الجدير بالاعتبار نرى سواد الطلاب الشرقيين الى اليوم ، اميل الى الاعتماد على ذاكرتهم وحافظتهم ، منهم الى الاعتماد على عقولهم وقوى مداركهم ، يؤثرون اجنياز عهد الطلب سرعاً حتى يدركوا ما تشره اليه نفوسهم من نقلد الوظائف والاعمال الحكومية ، على التضلع من العلوم والتمكن في المعارف مما يكسبهم الجدارة للاختصاص بمختلف الفنون والصناعات التي لا بد ان تكون بمقتضى سنة الترقى الصحيح . ولما كانوا على هذه الصفة المتقدمة كانت النتيجة ان اخذ كثير منهم بمحطون دون الوصول الى الغاية فيجمل بهم الابتئاس ، ويحققون سعيًا وراء امانهم فتشقى عليهم الحال ، هذا وقد اجتزأوا ببعض العلم اجتزاء لا يكسبهم القدرة على ضروب الاعمال النافعة والمهن المنتجة . فتراهم يسرون في الحياة على غير هدى لا يسعون الى غاية مقصودة ولا يشدون غرضاً بعينه . كل ذلك يحملهم على الانقلاب اعداء مبغضين للروح الغربية ، ثم يسوقهم هذا الى بث اسباب الثورة وبذر بذور القلق الفوضوي . في هذا الصدد اجاد « السر الفرد ليل » في وصفه سيئات التعليم الغربي في ربوع الشرق فقال في شأن الهند : « لامراء ان الجهل انما هو علة شرور كثيرة وبلايا عديدة في دائرة المجتمع ، وقد قام كثير من الفلاسفة وحملة العلم في القرن الماضي ينادون ان التعليم الكافل لتثقيف العقول ونشور الازدهان هو النجع دواء وافضل ذريعة لشفاء العالم ونجاته مما هو غارق فيه من بحر الضلالة والجهل » ، وقام ساسة خبراء مثل « ماكولي » يبينون للملأ ان التعليم على هذه

الصفة هو السبيل الفضلى لخلاص العالم بامرء من المعضلات السياسية ، ومن الحال التي قد استفحل فيها امتهان حرمة القوانين والانظمة والاحكام . فذلك بات ضربة لازب على الحكومة البريطانية ان تجرب القيام بتحرير الهند تحريراً عقلياً ، حاسبة هذا العمل خير منبر لحكمها تلك البلاد . « على اننا قد عرفنا بالابتلاء ونقرر لدينا بالاختبار منذ شرعنا نقوم بذلك ان التعليم ، مع كونه الدواء الشافي لامراض عديدة وكونه ضرورياً لا بد منه لاتمام الارتفاع الاجتماعي الصحيح ، فانه اذا لم تحسن ادارته كل الاحسان وتوفى وسائل تدبيره القسط الاكبر من الاجادة والاحكام ، انقلب بقوة فعله وعمله سماً قاتلاً نتولد منه جرائم الفساد والاضطراب ، بعد ان كان خير دواء يرحي بها الشفاء . ولا غرابة في ذلك لان التعليم على هذه الحال اخذ مفعوله يسري وفواعله تشتد اختاراً في مجتمع متزلزل الاركان متداعي الجوانب . ثم من شأن هذا التعليم ان ينقض ما ينقض ويحرف ما يحرف ، ويهيج ضعاف الادمغة ، ويستثير مساريع الاطاع وبعيدي الآمال مما لا يستطاع تحقيقه في الحال ، فيعمل الاخفاق اهل البلاد على السخط والغضب فتضطرم نار ذلك اضطرباً »

غير ان بعضاً من الغربيين اهل العناية بشؤون الشرق ، نخص بالذكر منهم رجال الاستعمار ، اخذوا يقومون ويقعدون للخاطر السياسية والاجتماعية المنبعثة من جانب هذه الطبقات المشتتة على الذين اتينا على ذكرهم من ذوي العلم الناقص^(١) وانشأ المستعمرون يعززون السبب في انتشار روح المقاومة للغرب الى التعليم الذي جاؤا بمناهجه واساليبه . فاللورد كرومر على سبيل المثال ، يرتاب شديد الارتياب في شأن المصريين الذين تلقوا العلوم الغربية . وقال موظف بريطاني هندي شهير ان علة الاضطراب في الهند ناشئة عن « نظام التعليم الذي نشرته بريطانيا في البلاد »

(١) كثير من مؤلفي الادريين ورجال سياستهم يحذرون حكوماتهم من اتقان التعليم في المستعمرات ، بحجة ان الغالب على النشء المتعلم هو النزوع الى الثورة ، اذ كانوا يقرأون امورا « تسيء عقولهم هضمها » ويقيسون اقيسة فاسدة فيتعجبون ويتعجبون . ومن جملة شواهد ذلك تلك المقالة التي عربناها عن « مجلة باريز » والتي صاحبها يشير بامانة اللغة العربية في المنرب واقامة الفرنسيوة مقامها بشرط ان يكون التعليم قاصراً على ما يلزم لامانة هذه واحياء تلك لا غير . والحاصل انهم يريدون تلغ العلوم الشرعية من بين المسلمين ، ولكن يضنون ان يجعلوا مكانها العلوم العصرية ، لتلا تحي بها نفوس الامم ، اذ يعلمون انه لا يجتمع العلم والذل في محيط واحد سواء كان علماً شرعياً اسلامياً او علماً اورياً عصرياً او علماً جامعاً للامرين

وهو هؤلاء المرتابون المتشائمون المستعمرون ، الذين يقولون ما يقولون من ان التعليم هو سبب نشوء الاضطراب في الشرق ، يفتلون عن انه لا بد لادوار التطور والانقلاب من ان يصحبها شرور وآفات ، وعوارض فاسدة ، بطبيعة الحال دون مرد . ولكن هذه الحقيقة الكبرى لم تحف على الحكماء من اهل الاستقصاء ، فكان شأنهم في درس تطور الشرق خلاف شأن اولئك المرتابين ، اذ قالوا ان التبدل والتغير في انظمة هذا المجتمع الانساني لا يكون خالياً من نقائص تعتوره ، وعيوب تصاحبه ، ومن هؤلاء الحكماء قسماي : الثقة الكبير الذي احاط بالشرق وشؤونه علماً ، وادرك ان في الشرق اليوم مستوى علياً تفجى فيه جدارة الموظفين الوطنيين ، وبه يظهر صدق امانتهم ، وهم الموظفون القائمون باعمال الخدمة المدنية في حكومة الهند البريطانية وحكومة افريقية الشمالية الفرنسية (وجل هؤلاء الموظفين من الذين تلقوا العلوم الغربية) ، ففي هذا المعنى قال قسماي : « ان الشرقيين المحافظين المتشددين والاوربيين المتعصبين ، ليخالون ان الاتيان بتهذيبنا الغربي الى الشرق قد ذهب بفضائل الاسيويين ، تلك الفضائل الساذجة الفطرية ، حتى غدا الشرقي غير المذهب اكثر امانة واعز شرفاً واشد اباة ، واجدر بالثقة من الاسيوي المذهب على الاساليب الغربية . ان هذا الخيال لأفن وخبال فلعل هذه الاوهام تصدق على اولئك النائلين قسطاً قليلاً من التعليم والتهذيب ، ولكن لا تصدق على الاسيوي التام التهذيب الذي وقر في نفسه ان الارنقاء العقلي قائم بجماعته على الاساس المكين ، وهو التعليم الوافي الصحيح ، والتهذيب المنظم الطريقة ، والتثقيف السليم الاسلوب والمنهج . »

ثم مما كان شأن النقص الذي صاحب اساليب التعليم الغربي في الشرق ، فالتعليم هو المنهاج الذي لا يستطيع الا نهجه ، والباب الذي لا حيدة عن ولوجه . وعلى كل فان ما قد بلغت الروح الغربية في الشرق من سعة الانتشار وشدة التأثير ، هما من الامة بحيث لو اردنا الكلام عليه تفصيلاً استغرق ذلك المجلدات الضخام . ولو سلمنا جلاً ان الحكومات الاستعمارية قد كان في وسعها ان تحول دون التعليم الغربي الصحيح ، فلم يكن الشرقي على كل حال قادراً ان يتعلم ما يتعلمه على طرق اخرى ومناهج شتى .

اذن خير للشرقي وافضل ان يتلقى العلوم والمعارف في كتب مفيدة صحيحة الاسلوب برعاية الاكفاء من المدرسين والمعلمين ، من ان يترك شأنه يتبع الاساليب الفاسدة والطرق المتتوية ويخبط خبط عشواء

خطبة اللورد لويد

في كلية فكتوريا بالاسكندرية

زار اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطاني في مصر مدينة الاسكندرية في اواخر مارس الماضي وحضر حفلة كبيرة في كلية فكتوريا خطب فيها خطبة تهذيبية بليغة استهلها بشكر لجنة الكلية وناظرها ودولة رئيس الوزراء وجميع الحاضرين ثم قال :

تأسست كلية فكتوريا منذ ٢٥ سنة بالاكتتاب العام وكان في مقدمة المكتتبين لها الانكليز المقيمون في الاسكندرية ويعود جانب كبير من الفضل في انشائها على كرم السر جورج المدرسن الذي نأسف لغيبته اليوم . وقد اهتم بها سلفي العظيم لورد كرومر اهتماماً خاصاً وفي قدومي الى هنا اليوم تحية احترام لذكراه وللعمل الذي عمله لبلاده وللبلاد التي كانت بعدها اعلق البلدان بنفسه

لقد اوجد لورد كرومر شركة وطيدة بين بريطانيا ومصر وهذه الشركة مها تغيرت اشكالها لازمة للشريكين وهذا يجعل استمرارها لا مندوحة عنه . فعلينا ان نقوي كل ما لدينا من وسائل التفاهم المتبادل بين البريطانيين والمصريين والجاليات الاخرى التي توطنت هذه البلاد ، حتى ينجم عن هذه الشركة اعظم المنافع المتبادلة . وقد كان هذا التفاهم المتبادل غاية لورد كرومر من تأسيس كلية فكتوريا بوجه عام ومن تأسيسها في الاسكندرية بوجه خاص وهي غاية اعتقد ان الكلية تحققها

انشئت الاسكندرية لتكون عاصمة العالم المعروف للاسكندر الكبير ، ولتكون حلقة اتصال بين الشرق والغرب . وقد حققت هذه الغاية في عهد ازدهارها الاول وايضاً في نهضتها الحديثة على يد محمد علي باشا العظيم فكانت صلة بين الشرق والغرب . وهذه الصلة التي تمثلها الاسكندرية تمثيلاً واسعاً ، تمثلها كلية فكتوريا على وجه مصر

ما من احد اعرف منك يا حضرة الناظر ان المدرسة او الكلية مكان للتعلم والتعليم وان المعلم يتعلم بقدر ما يعلم ، واذا كنا نحن الانكليز قد اسسنا كلية فكتوريا هنا فاننا لم نفعل ذلك لان لدينا ما نعلمه للغير فقط بل لان هناك ما نريد ان نتعلمه ايضاً . ومن بواعث الفخار والتشجيع لكل معهد علمي ان ينشأ في مدينة كالاسكندرية حيث نشأت

نوع كثيرة من فروع العلم وحيث ارتقت الفنون والفلسفة ارتقاءً خاصاً، في المدينة التي
يقع ان ندعى مدينة الاكتشاف العلمي ومقر اشهر مكاتب العالم

هنا عاش اقليدس اعظم علماء الهندسة الذي بقي كتابه في الهندسة مستعملاً في
مدارسنا الى اوائل هذا القرن . هنا وضع ديوفانتس علم الجبر وابولونيوس علم القطوع
المخروطية . هنا قاس اراتستينس قطر الارض لأول مرة في التاريخ وقال ارسترخس
بدوران الارض والسيارات حول الشمس قبلما قام غليليو بالي سنة . هنا انشئ علم
القوى المائية (هيدروستاتيك) وعلم التشريح في مدرسة الطب العظيمة . هنا استنبط المصن
وغیره من المستنبطات الكثيرة المفيدة . ان الرياضيات والعلوم الطبيعية لم تنهض نهضة
نساوي هذه النهضة سوى في القرن التاسع عشر . وقد اخذ الباحثون يكشفون حديثاً ان
الامبراطورية الرومانية مدينة بجانب كبير من نظامها الاداري للبطالسة

واذا كان اشتغال اليونان بالعلوم ، واندفاعهم وراء البحث عن الحقائق ، الباعث
الاكبر على الارتقاء العلمي الذي تم في الاسكندرية في ذلك العصر ، فان ارتقاء الفنون
والفلسفة بنوع خاص سببه احثكك العقول من مختلف الاجناس التي اجتمعت في بقعة
بين اوربا واسيا وافريقية يغسل شواطئها بحر كله وحي والهام . والباعث على اجتماع تلك
الشعوب فيها هو هو الباعث الذي حملنا — ونحن شعب نختلف عنهم كل الاختلاف — على
التعلق بهذه البقعة التي وقفت امامها منارة الاسكندرية رمزاً للنور والطمانينة

نحن الانكليز لنا في كلية فكتوريا وسيلة نوادي بها خدمة للخير العام فهاذا نستطيع
ان نفعل . اسمحوا لي ان اقرأ لكم فقرة لامر من الكاتب الاميركي الكبير ضمنها رأيه فينا
ومنها نستطيع ان نستخلص صورة لما نستطيع ان نقدمه بواسطة معاهدنا — قال امر من :
« مما يجعل الشعب الانكليزي شعباً ذا شأن هو صفات الافراد الذين يتألف منهم .
انهم رجال احرار اقوياء يعيشون في بلاد فيها الحياة بمأمن من الطوارئ ولها مقام وقيمة
عالية . انهم قوام هذا العصر وليس ذلك اتفاقاً بل هم يفعلون ذلك بخلقهم الممتاز وكثرة
الافراد المقتدرين بينهم . لقد انكر البعض ان في الانكليز نبوغاً . ومهما قيل فيهم فلا ريب
ان رجالاً من اكبر الرجال عقولاً ولدوا في بلادهم . وقد استنبطوا اعظم المستنبطات او
طبقوها . اجسامهم سليمة وهم ذوو ثبات عظيم في الحرب والعمل وقوانينهم كريمة تمنع
الرق وتؤيد الحرية واذا كان عندهم استبداد فذلك ثانوي لا يدوم ونجاحهم ليس قائماً
على الحظ بل لقد اظهروا ثباتاً واستمراراً في مقدرتهم قروناً كثيرة »

وأكرر القول بأن الاسكندرية حلقة الاتصال ويجب ان تكون وسيلة للتفاهم واليهما ننظر نظراً خاصاً في توطيد رابطة التفاهم . وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة اقل من كلية تعلم الشبان من مختلف الاجناس المبادئ البريطانية العليا . فكلنا مشتركون في سعبي واحد للتفاهم المتبادل . وثمرات النجاح في هذا العمل هي السلام والطأينة والارتقاء . لذلك ارحب باجتماعنا في منتدى كلية فكتوريا لانني اشعر ان روح التفاهم يكون في هذا المنتدى اوضح واغنى اثرأ منه في اي مكان آخر

وما هي كلية فكتوريا . كلية فكتوريا ايها السادة مدرسة انكليزية تفتح ابوابها لكل الاجناس . لم يتسن لهذه المدرسة ان يكون لها كل الشأن المنتظر في تربية النشء المختلط في الاسكندرية وغيرها من مدن هذا القطر لاسباب بعضها مالي والبعض الآخر ناجم عن الحرب الكبرى . وسيُتدارك هذا الامر في السنوات المقبلة . فهذه مدرسة على كثرة الوسائل التمهيدية التي تقوم بها ترى قليلين من آباء النشء الجديد يهتمون بها او يفهمون غايتها . فمن الانصاف ان نشهر مميزاتنا . ان معلمينا من الانكليز الذين نشأوا على مبادئ الحياة العامة والحياة المدرسية في انكلترا . وما يحصله الطلبة فيها بوازي ما يحصله طلبة كليتنا في انكلترا وما اكثر علامات الشرف التي حازها خريجو هذه الكلية في بلاد الانكليز . ففي السنوات الماضية — بل في السنة الماضية فقط فاز كثيرون من ابناء هذه الكلية في جامعات انكلترا حيث تجدون الآن نحو ٣٠ طالباً من ابناء هذه الكلية السابقين . وقد بلغني ان مجلس الامتحان لشهادة اكسفورد كمبرج اظهر اعجاباً شديداً بمعارف تلاميذ فكتوريا — هذا فيما يتعلق بالعلوم

ثم هناك تربية الاخلاق . ان النظام الذي نحسبه في انكلترا اقوى العوامل في تربية ملكات الشرف والشعور بالمسؤولية والصدق وضبط النفس والثبات وغيرها من الصفات التي لا مندوحة عنها لانشاء الوطني العامل ، اقول ان هذا النظام الكامل يُستعمل في هذه الكلية كما يُستعمل في انكلترا . وهو يستعمل هنا رغماً عن كثرة الاجناس التي يتألف منها مجموع الطلبة . وهذه الروح تنمي ايضاً في الالعاب على اختلافها ، الفوتبول والكركت و فرق الكشافة

وقد بلغ من نجاح هذا العمل ان الحوادث التي حدثت في سنتي ١٩١٩ و ١٩٢١ لم تؤثر في علاقات الطلبة بعضهم ببعض فلم يحدث بينهم نفور ما . وما يدل على استمرار هذه الروح ان ابناء الكلية السابقين لا يزالون يجتمعون اجتماعاتهم الشهرية يؤلف بينهم

في ذلك محبتهم للأيام الهنيئة التي قضوها في محيط انكليزي في كلية فكتوريا . انهم ينظرون اليها الى الآن نظرهم الى بيت لهم ثانٍ ومحبتهم لها توحد بينهم وقد يهيمكم ان تعلموا ان ابناء الكلية السابقين من ثمانية اجناس او تسعة اجناس مختلفة وان من الطلبة الآن ٣٠ في المائة مصريون و ٢٠ في المائة انكلوسكسون ومنهم يونان ويهود وايطاليون وارمن وسوربون واحباش وغيرهم

كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ فيصيروا قادرين ان يفهموا اساليبنا ويعطفوا عليها . لدينا معشر الانكليز مثل يقول ان « البرهان على جودة البودنج اكلاها » والشبان الذين نتجهم هذه المدرسة نفخر لكل الامة ولا أشك في انهم سيكونون فخراً لمصر واودث كثيراً ان اشعر بان كلية فكتوريا تجلب نفراً من نخبة الموظفين والمعلمين والتجار في هذا القطر . ومتى تسنى للجمهور ان يعرف عن هذه الكلية اكثر مما عرف عنها في الماضي يتنبه الوالدون الى ان تعليم اولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الانكليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربي كما كانت الاسكندرية في ايام عظمتها على عهد البطالسة علينا ان نحل المشاكل المعلقة بين مصر وانكلترا . ولا شك انه ستنشأ مشاكلاً اخرى في السنوات القادمة من العلاقات بين الاثنين . وهذه المشاكلاً تحل اذا تعلم كل من الانكليز والمصريين ان ينظر الى الرأي القريب الآخر نظراً مقروناً بالفهم والعطف ولست منفرداً بما اشعر به من المساعدة العظيمة التي تؤددها كلية فكتوريا في هذا السبيل بل كثيرون غيري يشعرون شعوري وقد عبروا عن شعورهم بتبرعاتهم المالية . (وهنا ذكر التبرعات)

هذه الاموال ستوزع جوائز على الطلبة الممتازين وليس الغرض منها مساعدة الطلبة الفقراء مساعدة مالية بل تشجيع الطلبة المجتهدين الناجحين جزاءً لهم على اجتهادهم ونجاحهم فكان الواحد منهم قد كسب بذلك ثروة ونشاطاً جانبياً من النفقات التي تنفق لتعليمه . هذا باعث قوي على اجتهاد الطلبة وهو النظام المتبع في بلاد الانكليز حتى لقد تجد كثيرين من ابناء الاغنياء عندنا يفوزون بالجوائز المالية في المدارس العامة

لقد سررت ايها السادة سروراً عظيماً بالاجتماع بكم اليوم وارجو ان لا نكون قد أضفنا وقتنا سدى اذا نجم عن هذا الاجتماع شيء من التفاهم العام الذي يوطد رابطة الفهم والعطف بين بريطانيا العظمى والبلاد المصرية

كيف ينفقون اموالهم

نكتب هذه السطور ولم نصل الحكومة المصرية الى حكم فاصل في مسألة هبة ركفلر التي وهبها لمصر لتبني بها متحفاً فخماً ومعهداً لعلم الآثار. والظاهر ان اتفاق الاموال في مختلف الاغراض العلمية والاجتماعية اصبح صفة قومية لدى الاميركيين اذ يندر بينهم من يصيب ثروة كبيرة الا ويفكر في خير السبل لاتفاقها. وقد زادت قيمة الهبات التي وهبها اصحابها للايتام او للفنون او للعلوم او للتهذيب او لغير ذلك من الاغراض العمرانية زيادة كبيرة في السنوات الخمس عشرة الاخيرة فبعدما كانت قيمتها لا تزيد على بضعة ملايين من الجنيهات صارت تتراوح بين ٤٠٠ مليون جنيه و ٥٠٠ مليون. وقد قدر احد علماء الاحصاء ان قيمة هذه الهبات الآن تعادل ثروة الامة الاميركية كما كانت منذ مائة سنة. واليك بياناً تظهر فيه اكبر الهبات الاميركية واسماء اصحابها نقلًا عن مجلة التاريخ الجاري

جون ركفلر	١١٥٠٠٠٠٠٠ جنيه	جون ستورت كندي	٠٠٦٠٠٠٠٠٠ جنيه
اندر و كارنجي	» ٠٧٠٠٠٠٠٠٠	جون سترلنغ	» ٠٠٤٠٠٠٠٠٠
وقف كلفلند	» ٠٣٠٠٠٠٠٠٠	ادمند كنقرس	» ٠٠٤٠٠٠٠٠٠
هنري فرك	» ٠١٧٠٠٠٠٠٠	ج. ر. د. لامار	» ٠٠٣٣٠٠٠٠٠
جون ديوك	» ٠١٦٠٠٠٠٠٠	مسز ستفن هاركنس	» ٠٠٣٣٠٠٠٠٠
ملتن هرشي	» ٠١٢٠٠٠٠٠٠	اغسطس جو يلارد	» ٠٠٣٠٠٠٠٠٠
جورج استمان	» ٠١١٦٠٠٠٠٠	هنري هنتنن	» ٠٠٣٠٠٠٠٠٠
مسز رسل سايج	» ٠٠٨٠٠٠٠٠٠	جورج باكر	» ٠٠٢٤٠٠٠٠٠
فرنك منسي	» ٠٠٨٠٠٠٠٠٠	ج. ب. مورغان	» ٠٠٢٠٠٠٠٠٠
هنري فبس	» ٠٠٦٣٠٠٠٠٠	مسز اندرسن	» ٠٠٢٠٠٠٠٠٠
بنيامين التمن	» ٠٠٦٠٠٠٠٠٠		

هذه هي المبالغ التي يزيد كل منها على مليوني جنيه اما المبالغ التي وهبها شخص واحد و يقل مجموعها عن مليوني جنيه فكثيرة والمرجح ان مجموع الهبات كلها يزيد على اربعمائة مليون جنيه والموهوب منها للتعليم ١٦٠ مليون جنيه وللأمور النافعة والمعاهد الدينية ١٠٠ مليون جنيه وللبحث العلمي ٦٠ مليون جنيه وللـفنون والكتب والموسيقى ٤٠ مليون جنيه والباقي لاغراض شتى

اجناس البشر

حسب اللون والشعر والدم

حاول العلماء من زمن بعيد تقسيم البشر الى اجناس يجمع بين افراد كل جنس منها صفات تميزهم عن غيرهم من افراد الاجناس الاخرى. فقسمهم العالم بلومنباخ الى خمسة اقسام او اجناس هي الجنس القوقامي والجنس المغولي والجنس الاثيوبي (الحبشي) والجنس الاميركي والجنس الملقي . ولم يقصد حينئذ بالجنس القوقامي الناس الساكنين في القوقاس بل الجنس الابيض نسبة الى جمجمة وجدت في جنوب القوقاس . وقسمهم كوفيه الى الجنس القوقامي او الابيض والمغولي او الاصفر والحبشي او الاسود . ومن الامور الصعبة وجود محل لجميع الجماعات الصغيرة الممتازة عن غيرها بصفات خاصة بها كالبوثن سكان استراليا الاصليين في هذا التقسيم العام او غيره . ولكن علماء الاثرو بولوجيا يكادون يجمعون على ان الجنس الحبشي او الاسود والجنس المغولي او الاصفر والجنس القوقامي او الابيض والجنس الاميركي او الاحمر هي الاجناس الاساسية بين البشر وهذا التقسيم مبني على لون البشرة والفرق الجغرافي . فقد كانت هذه الاجناس مفرقة كما يأتي قبل الهجرات الحديثة في تاريخ الزمران : الجنس الاسود في الاقطار الاستوائية شرق الاوقيانوس الهندي وغربه في افريقية واستراليا وجزائر الباسفيك المجاورة لها . والجنس الاصفر كاد يكون محصوراً في اسيا الا جماعة قليلة منهم في اوربا مع اختلاف في ضروب اللون الاصفر . والجنس الاحمر في اميركا الشمالية والجنس الابيض في اوربا وافريقيا الى خط السرطان وجنوب اسيا الغربي . وللون الابيض ضروب تتراوح بين الاسمر على حدود المنطقة السوداء والابيض النقي في شمال اوربا . ولكل من هذه الاجناس اقسام اصغر منها يمتاز احدها عن الاخر بعاداته وثقاليده ولغته وغير ذلك من الفروق الثانوية

وحاول نفر آخر من العلماء تقسيم البشر حسب لون الشعر وشكل مقطوعه وهو يكاد يتفق مع التقسيم السابق المبني على لون البشرة . فالجنس الحبشي او الاسود شعره قصير اسود مفلفل ومقطوعه مسطح . والجنس المغولي او الاصفر شعره طويل اسود قاس سبط ومقطوعه مستدير والجنس الاميركي او الاحمر شعره كسعر الجنس المغولي انما هو

اطول منه واكثر قساوة . والجنس القوقاسي او الاليض شعره طويل متموج ولونه يتراوح بين الاشقر والبني الفاتح ومقطوعه يبيضوي^٢

التقسيم حسب الدم

ذكرنا ما تقدم نوطئة لبحث علمي جديد مبني على صفات خاصة يمتاز بها دم بعض الجماعات من البشر عن دم غيرها . واليك البيان ملخصاً عن مقالة في هذا الموضوع نشرت في جزء يناير وفبراير من مجلة التاريخ الطبيعى الاميركية التي يصدرها متحف التاريخ الطبيعى الاميركي في نيو يورك

لقد كان معروفاً لدى الباحثين منذ سنوات ان دم بعض الناس لا يمتزج بدم غيرهم من غير ان يحدث هذا الامتزاج تجمعاً او تكتلاً في الكريات الحمراء ويسمى العلماء هذا الفعل agglutination وهو شبيه بما يصيب اللبن حين تثرره . ولا يخفى ان نقل الدم من شخص الى آخر في بعض العمليات الجراحية وحالات ضعف الدم لا يصح اذا كان دم الجائذ بدمه ودم المريض لا يمتزجان من غير ان يحدث هذا التكتل واذا حدث فقد ينجم عنه خطر كبير على حياة المريض

وقد اثبت عالم نمسوي يدعى كارل لاندشتينر وهو الآن من اعضاء معهد ركنفلر باميركا ان هذا الفعل لا يحدث اتفاقاً بل يجري على قاعدة طبيعية . ووجد ان هناك اربعة انواع من دم الانسان يختلف احدها عن الآخر اخلاقاً اساسياً كما سيحي^٣ وانه يمكن تقسيم البشر الى اربعة اقسام او اجناس او فرق حسب نوع الدم الذي يجري في عروقهم . واثبت ايضاً ان دماء الناس الذين من فريق واحد يمتزج بعضها ببعض من غير حدوث التكتل في كرياتها الحمراء وانه اذا مزج دم شخص من فريق واحد بدم شخص من فريق آخر حدث هذا التكتل

وغني^٤ عن البيان ان الدم يتركب من سائل صاف ضارب الى الصفرة نعو^٥ فيه اجسام دقيقة تعرف بالكريات اشهرها الكريات الحمراء والكريات البيضاء . وقد وجد الاستاذ لاندشتينر ان سبب التكتل المذكور هو وجود مادة في سائل الدم الواحد تفعل في مادة اخرى في الكريات الحمراء التي في دم الثاني فتتكتل . ووجد ايضاً ان في الكريات الحمراء مادتين مختلفتين تكتلان او تسببان التكتل اذا اتصلتا بسائل الدم فدعا الاولى (١) والثانية (ب) ثم قسم الناس حسب وجود هاتين المادتين في دمائهم . فالفريق الاول منهم حسب تقسيمه لا يوجد في دمائهم شيء من هاتين المادتين وهم الجانب الاكبر من

الناس ونسبتهم الى مجموع السكان في اميركا ٤٥ في المائة . والثاني تجدد في دماء افراده المادة (١) فقط والثاني تجدد في دماء افراده المادة (ب) فقط والرابع تجدد في دماء افراده المادتين معاً وهم قلال جداً ونسبتهم الى عدد السكان في اميركا ٥ في المائة

فالمادة التي في دم فريق واحد تكتل الكريات الحمراء في دم الفريق الآخر اذا كان في كريات احده المادتين (١) او (ب) او كلاهما معاً . واليك جدولاً يظهر فيه ما ينتج عن اتصال سائل الدم من كل فريق بالكريات الحمراء في دم الفرق الثلاثة الاخرى

وبلاحظ في هذا الجدول ان الكريات الحمراء في دم الفريق الاول لا يكتلها

سائل فريق ١	سائل فريق ٢	سائل فريق ٣	سائل فريق ٤
لا يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	لا يحدث تكتل
يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	يحدث تكتل	يحدث تكتل
يحدث تكتل	يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	يحدث تكتل
يحدث تكتل	يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	يحدث تكتل
يحدث تكتل	يحدث تكتل	يحدث تكتل	لا يحدث تكتل

السائل الدموي في الفريق الاول ولا الثاني ولا الثالث ولا الرابع وذلك لانها خالية من المادتين (١) و (ب) اللتين تكتلان

اذا تأصلت هذه الصفات في دم شخص استمرت مدى الحياة ويستطاع تمييزه بها كما يميز لون الشعر او خطوط الانامل . وقد اثبت الامتحان ان مميزات الدم هذه تورث وتجرى في توريثها على قاعدة مندل . وعوامل الوراثة هي المادتان (١) و (ب) فاذا ورث ولد من ابيه المادة (١) ومن امه المادة (ب) صارت المادتان في دمه وحسب في الفريق الرابع من البشر

بعد اثبات الحقائق المتقدمة خطر لبعضهم ان صفات كهذه وراثية في الجنس مستمرة

في الفرد ويسهل امتحانها لا بد أن يكون لها معنى انثرولوجي كبير . ولكن هذا الخاطر لم يوضع موضع البحث والامتحان قبل سنة ١٩١٨ . ذلك ان الدكتور هرشفيلد وزوجته كانا يشتغلان في جمعية الصليب الاحمر ببلاد الصرب وكانت بلاد الصرب حينئذ مجتمعا لجيوش المتحاربين من مختلف اقطار المعمور من افريقيا وبلاد العرب وتركيا وروسيا والهند وبلدان اوربا المتحاربة ففحص هرشفيلد دم الجنود الذين عاجلهم وبوب نتائج فحصه بعد ما قرنها بالحقائق المذكورة آنفاً فثبت ان لكل جنس من الاجناس المعروفة نسبة خاصة من اقسام لاندشتينر تختلف عنها في الاجناس الاخرى

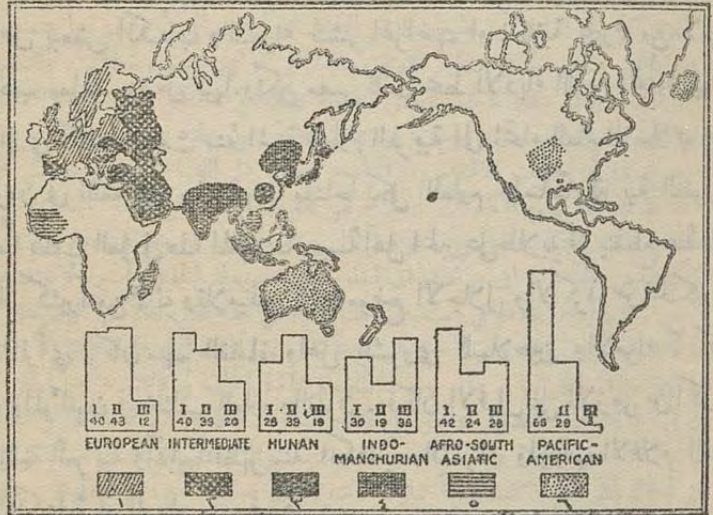
فقد وجد على وجهٍ من التعميم مثلاً ان الشعوب من شمال اوربا كالانكليز والالمان فهم الفريق الثاني كبيراً جداً بالنسبة الى الفريق الثالث والفريق الثاني هو الذي في دمه المادة (١) يقابل ذلك ان الشعوب من افريقية واسيا يكثر بينهم الفريق الثالث اي الفريق الذي في دمه مادة (ب) ووجد ان الشعوب التي تقطن حول البحر المتوسط فيها الفريق الثاني والفريق الثالث متساويين فاستنتج من ذلك استنتاجاً لم يقره عليه كل العلماء بعد وهو ان دم الفريق الاول اي الفريق الذي لا يوجد في كراته احدى المادتين هو الحالة الطبيعية الاصيل للدم البشري وان المادة (١) ظهرت في اوربا والاكتحول فجائي في الزمن السابق للتاريخ وان المادة (ب) ظهرت في اسيا . وعُلّ توضع هاتين المادتين في مختلف الاجناس ونسبها المختلفة بنزوح الاقوام من بلاد الى بلاد وامتزاجها بعضها ببعض

وقام بعد هرشفيلد علماء آخرون يبحثوا بمحنته في اجناس وشعوب مختلفة فوجدوا انه ما كشفه اولاً من وجود نسبة خاصة من اقسام لاندشتينر لكل جنس من الاجناس صحيح ولكن مباحثهم لم تؤيد رأيه في نشوء المادة (١) في اوربا اولاً ونشوء المادة (ب) في اسيا اولاً لانهم وجدوا اقواماً في اسيا وافريقية وملقا واميركا يكثر بينهم الفريق الثاني كما يكثر بين شعوب شمال اوربا . وفي الخريطة التالية تظهر الحقائق التي عرفت حتى الآن من حيث التفرق الجغرافي ونسبة الاقسام المختلفة في الاجناس المختلفة ومن الحقائق الغريبة التي كشف البحث القناع عنها ان جماعات اليهود التي تناو لها البحث ليست جماعة واحدة متصلة الرحم بل ثبت ان كل جماعة منهم تشبه اقوام البلاد التي تسكنها من حيث مميزات الدم هذه . فيهود برلين مثلاً يماثلون كل المائلة الشعب

الاماني في ذلك و يهود اسبانيا يماثلون العرب و يهود رومانيا لا يختلفون كثيراً عن المجرين و يهود بولونيا يشبهون اهل بولونيا

وعلى الضد من ذلك ظهر ان نجر (نور) اوربا يشبهون النوع الهندي المنشوري وهذه حقيقة كبيرة الشأن ازاء ما يعرف عن النجر من عدم نزاجهم باهل البلاد التي يرتادونها وفي الاخبار الخرافية انهم جاؤوا اولاً من اواسط الهند

ولعل اكبر الحقائق شأناً في هذه المباحث هي ان الاجناس القريبة بعضها من بعض في مواطنها الجغرافية تتشابه من حيث مميزات الدم ونسب اقسام لاندشتينر فيها



يظهر في هذه الخريطة توزيع الشعوب حسب مميزات الدم التي بسطناها في هذا المقال . وفي اسفلها مفتاح للخريطة ورسوم تبين نسبة اقسام لاندشتينر في الاجناس الستة المذكورة . فالرسم الاول يمثل الشعوب الاوربية وقد رمز اليها في الخريطة بخطوط مائلة وفيه ان الفريق الاول ٤٠ في المائة والفريق الثاني ٤٣ في المائة والثالث ١٢ في المائة واما الفريق الرابع فلم يذكر لقاته . وكل جنس من هذه الاجناس له نسب خاصة به يميزها عن غيره

وقد كشف لاندشتينر حديثاً ان المادتين (ا) و (ب) موجودتان في دم القرد كالأورانغ اوتان والشمبانزي . ومباحثه تدل على وجودها في انواع مختلفة من القرد الشبيهة بالانسان ولا تزال المباحث في هذا الموضوع قيد التحقيق واكتشاف لاندشتينر الاخير اي وجود مميزات الدم في دم القرد لا يعجل نشوءها بل يبعد بالتعليل الى العصور المتغلغلة في القدم

الادب المصري في القرن التاسع عشر

الكتابة والشعر

بدأ القرن التاسع عشر وسوق الادب كاسدة من جراء ما انتاب البلاد من حكم المماليك الذين لم يعنوا بشيء من العلم والادب والفنون سوى ما اقاموا من مباني تخليداً لذكورهم وتضليلاً للعامة ليحملوهم على الظن بانهم ممن يساعدون على فعل الخير واقامة شعائر الدين . فلم يكن من غرضهم نشر الآداب الا بقدر ما كانت تدعوهم الحاجة اليه من الاختصاص ببعض الكتب والشعراء لنشر اغراضهم او لمكاتبة غيرهم من الامراء . ولم يكن للآداب معاهد يدرس فيها . ولكن مصر كانت محط الادباء الذين التجأوا اليها وموطن الازهر الذي كانت تنبعث منه اشعة العلوم العربية الى انحاء العالم الاسلامي — وكان الناس يرون في اللغة العربية وفنونها مفتاحاً لكل العلوم واساساً لتربية العقول . وزاد الناس حباً بطلب العلم في هذا المعهد ما حبسه اهل الخير على طلابه فلم ينقطع عنه الوافدون . ولا سيما ان كثيراً من علمائه وتلاميذه كانوا موضع الاجلال والاكرام من الحكام والامراء واصحاب الرأي وكان منهم القضاة واهل الشورى للسلطين والامراء كما كان منهم الكتاب والمؤلفون في مختلف العلوم والفنون . فكان الاقبال على الازهر من اكبر الوسائل لاحياء اللغة العربية وآدابها فظهر منه الكتاب والشعراء وارباب الاقلام الذين تولوا وظائف الكتابة في الدواوين وغيرها

اما كتابة الدواوين زمن المماليك فكانت مزيجاً من العربية والتركية وخليطاً من الالفاظ العامية والعبارات الفصحى . واستمر ذلك الى ايام محمد علي حيث فشت العامية في المؤلفات والمراسلات وانحطت درجة الكتابة بطبيعة حال الدولة التي لم يعن اهلها بذلك . وتاريخ ابن اياس والجبرقي من اساليب الكتابة التي كانت فاشية في تلك الايام فكانت الكتابة في حالة النحطاط كما كانت الحال في جميع الاقطار العربية وكان اكثر اساليب الكتابة البليغة الادبية كالرسائل والمقامات مسجعة جارية على اسلوب الهمذاني والحريري . وانتشر السجع حتى لم يكذب يخلو منه كتاب او تأليف وحتى تمشى هذا الاسلوب في الكتابة العامية . ولا شك في ان هذا اثر غناية العصر العباسي الاخير بالصناعة اللفظية والمحسنات البديعية . وشاع هذا الاسلوب في الكتابة الادبية

حتى تخطي القرن التاسع عشر^(١) فادرك رفاعة بك الطهطاوي (توفي سنة ١٨٧٣ ميلادية) وعبد الله باشا فكري (توفي سنة ١٨٨٩ ميلادية) وعبد الله نديم (توفي سنة ١٨٩٦ ميلادية) وابراهيم بك المولى (توفي سنة ١٩٠٦ ميلادية) والشيخ محمد عبده (توفي سنة ١٩٠٧ ميلادية) والسيد توفيق البكري وغيرهم من الكتاب الحديثين كحنى بك ناصف وامثاله . على ان ظلال هذا السجع الممل ابتدأت تنقلص منذ ان رجع طلاب

(١) وهاك نموذجا من تعريب بعض تلاميذ مدرسة اللسان يدل على تمكن ملكة السجع من نفوس المتعلمين . نقل عن مجلة روضة المدارس :

يحكى ان قتيها فرنسويا (اوكتاتو) كان بجواره طبياخ ماهر في صنعته . فاتفق له يوما من الايام وقد وضع كجري العادة ما طبخه ظاهر الدكان على الصواني . واطهر ما عنده من نفيس الاواني . واذا بكل عظيم الجبة . متتابع اللبسة ، عدا على اواني اللحم وخطف . والتقم من سائر الطومات والتقف . وكان ذلك الكلب محض الصدفة والتقدير . ملكا لجناب ذلك الفقيه الشهير . فسمي الطبياخ في محلص اللحم منه فوجده قد عدت عليه من بطنه عوادي الايام . حيث كان الكلب قد اسرع بمجرد الخطف للانتقام والالتهام ، وحين علم الطبياخ انه لم يتحصل على ذلك . ولم يفرح بما طبخه الا بسن الكذالك . خرج من الغيظ عن طوق طبعه العادي . وعزم على السير الى صاحب ذلك الكلب العادي . فوصل الى بيته مصحبا لندمه وسدمه . قائلا من غاية الحزن والكاية لبعض خدمه : ان مرادي ان اخلو بحضرة سيدك الجليل المعتمر . لاستفتيه في دعوى ما لبثتها خبر . فاستأذنه خادمه في استقبال الطبياخ فدخل عليه فقال اهلا باكرم جار . واعظم مستن زار . ففقد الرجل وقد وارت بينهما راح الكلام . وتحدثوا في ما جرت الايام ووقائع الايام . فخطابه الفقيه بالفراصة . ولزم لين الخطاب ومجانبة الحاسة . قائلا له ايها الجار . اني اظن ان لك دعوى الجأئت الى الحضور عندى في هذا النهار . فافصح عنها ايها العزيز الحبيب . فاني باذن الله ازيل اشكالك بوجه لا يرب . فقال انما جيئت مثواك . لاستفتيك في مسألة ليس لها سواك قال وما هي ؟ قال ان اتلف كلب شيئا مملوكا . سواء كان صاحبه اميرا ام صعلوكا . هل يرجع في ذلك الى صاحب هذا الكلب . او ييؤء صاحب هذا الشيء هلاك السلب ؟ فقال الفقيه ان كان الكلب ملك احد فهو الضامن لما اتلفه ضامن الوالد للولد . فعند ذلك نهض الطبياخ على اقدامه . منوقا الى الفقه ساهم كلامه . وقال ايها الفقيه الفصيل . قد حكمت على نفسك بنسك فلا تتفصل . ان كلبك هو الخصم صاحب الدعوى . وها انت الفقيه صاحب الفتوى . واذا كنت انت الحكم والمهم المهاب . فاحكم بيننا بالحق واهدنا الى ماريق الصواب . فعند ذلك اخرج من كبسه نصف ليرة . واعطاها له واطهر انها يسيرة . الا انه عض انامله من الغيظ . وصار جسمه في حرارة ولا حرارة القيط . وخرج الطبياخ يطلب دكانه وهو في شديد الفرح . ظانا ان بذلك زال عنه ما لاقاه من الترح . واذا بلقيته يصيح عليه . وينادى باعلا صوته بالحضور لديه فارتمدت مفاصل الرجل من الخوف وانخلع قلبه من الجوف . فقال الفقيه ايها الرجل الكريم . لا يخف عليك ان قنني وثقة عائلتي لم تكن من غير العالمين . التي اكتسبها من تحقيق الدعاوي وتنميق الفتاوي . وما رأيتك اعطيتني مالموم فصل هذه القضية . التي انصلت على صورة جميلة . مرضية . فقال الرجل وهم قرشا يدفع لامثالها . فقال له ما جرت عادتي باخذ اقل من ليرة في كل مسألة افك منقود عقلا فخرج له الرجل نصف الليرة الاولى . وزاوجه بنصف آخر حين علم ان الفقيه لا يتحول عن ذلك ولا يتنازل فعخرج بشعر في اذنيه وبتعجب من هذا الحكم الذي لم يخطر على باله

الارسالية التي ارسلها محمد علي الى اوربا في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر فقد تأثروا باساليب اللغات الاجنبية فخذوا يترجمون ويؤلفون كما فعل رفاعة بك الطبطاوي والعالم احمد ندا (المتوفى سنة ١٨٧٧ ميلادية) وابراهيم النبراوي الذي كان رئيساً لمدرسة الطب (توفى سنة ١٨٦٢ ميلادية) واحمد حسن الرشيدي الطبيب (توفى سنة ١٨٦٥ ميلادية) وغيرهم من العلماء والادباء

وكان من اشهر هؤلاء الكتاب والمؤلفين رفاعة بك الطبطاوي (سنة ١٨٠١ - ١٨٧٣ ميلادية) الذي كانت له آثار عظيمة في الكتابة والادب والشعر فترجم في مختلف العلوم والفنون كتباً ورسائل . ويحسب اسلوبه من نماذج اساليب الكتابة المختلفة في القرن التاسع عشر بمصر . فان فيها السجع الممل المتكلف الممزوج بحسن اختيار الالفاظ وبلاغة العبارة (راجع « مقدمة وطنية » لحضرة رفاعة بك طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٣ هجرية و « الكواكب النيرة في ليالي افراح العزيز المقمرة » طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هجرية) وتجده في مؤلفاته السهل الممتنع الذي يشبه اجود اساليب الصحف اليومية عندنا الآن (راجع كتاب « مناهج الالباب المصرية في مباحج الآداب العصرية » طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٦ هجرية) . ومن الاساليب التي تحسب احياناً مسجعة وحياناً مرسلة اسلوب الوقائع المصرية منذ ظهورها (سنة ١٨٢٨) الى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر . وبقي الادباء يحاكون الاساليب القديمة والموضوعات المعروفة كرسائل التعازي والتعارف قبل اللقاء والعتاب والشوق الى زمن قريب

ولكن محاكاة الاساليب الافرنجية وانتشار التعريب جعل اسلوب الكتابة العربية ينتقل من طور السجع ومحاكاة القدماء الى سهولة التعبير والايجاز في العبارة . ومن اشهر الصحف التي اذاعت هذا الاسلوب الجديد في الترجمة والتأليف مجلة روضة المدارس التي انشئت سنة ١٨٧٠ وكان يحررها نخبة من العلماء كاسماعيل باشا الفلكي وبدر بك الحكيم وعلي باشا مبارك ورفاعة بك وغيرهم . فقد نشر في هذه المجلة كثير من آثار اقلام الكتاب في موضوعات مختلفة من علوم وآداب . والمتأمل في هذه الاساليب يرى انه قد حدث في التطورات كان الكتاب يجارون فيها روح العصر العلمية والادبية فرقت اساليب النثر وتعددت مناحيه حتى اصبحت تحتوي على كثير من الاساليب التي عرفت في اللغات الاجنبية . وزاد هذه الاساليب رقة وسهولة انتشار الصحف اليومية والمجلات العلمية . واخذت الرسائل شكلاً آخر غير ذلك الشكل المسجوع المعروف . ونزع الكتاب الى اسلوب آخر

غير متكلف وهجر كتاب الجرائد المقدمات التي كانوا يفتخون بها موضوعاتهم واقتربوا من نفوس الخواص ولقد نراهم احياناً ينزلون باساليهم الى عقول العامة مع صحة العبارة وسلاستها . كذلك نجد اثر الاساليب الفرنجية وتراكيب اللغات الاعجمية في الكتب المترجمة او المكتوبة حديثاً باقلام من تعلموا اللغات الاجنبية او مالوا الى محاكاتها . وربما نرسموا في ذلك حتى لقد يخرجون احياناً عن الاسلوب العربي المألوف . ولا يزال هذا الاسلوب الحديث يغمرنا بسيل جارف من الالفاظ الاعجمية والتعابير الافرنجية بما ينشره العربون والمؤلفون وكتاب الصحف . على انه في جملته سهل قريب من اذهان الطبقة الوسطى من المتعلمين . ولا شك في ان هذا كله دليل على ان الكتابة العربية في مصر سائرة في طريق آخر غير الطريقة العربية الصميمة

وقد حدث في مصر نوع آخر من النثر وهو النوع القصصي المصبوغ بصبغة مصرية كما في كتاب حديث عيسى بن هشام لمرحوم ابراهيم بك المويلحي . وهذا نوع جديد في الادب المصري اكثر اثراً وادعى الى الحياة في آدابنا الحديثة من اي نوع آخر من انواع النثر . وقد انتشرت اخيراً هذه الروح القصصية بين كتابنا المعاصرين لنا يجارون بذلك آداب الامم الاخرى . لان اكثرهم قرأ تلك الآداب وخبرها وتأثر بها . وما ينشر الآن بيننا منها كثير يبشر بنهضة ادبية عظيمة . على ان اكثرهم لا يزال في بادئ الصناعة يحتاج الى كد طويل وتفكير عميق وتجربة وتفنن في هذا الاسلوب الجديد حتى يقرب من الاتقان والكمال

هذا ما حدث في النثر الفصيح اما ما كان في النثر العامي او القريب من اللهجة العامية فان اثره لا يقل عن ذلك في الادب المصري الحديث بل يكاد يكون اسبق من غيره . لانه يمثل الحياة المصرية والاخلاق المصرية في جملتها . وقد انتشر هذا النوع في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر وكان من مبتكريه المرحوم عبد الله نديم بروايته « الوطن » و« العرب » اللتين انتقد فيهما كثيراً من المسائل السياسية والاجتماعية والخلقية كما كتب مقالات متعددة من هذا النوع جمعت في كتاب مسمى (سلافة النديم) كمقالة (سهرة الانطاع او عربي تفرنج ومقالة مجلس وطني) وغيرها . وقد رأينا في السنة الثانية من مجلة روضة المدارس رواية تمثيلية كتبت باللغة العامية اسمها (الفصح المنسوب للحكيم المغضوب) . وهذا يدل على ان هذا النوع من الكتابة العامية ابتداءً ينشر منذ ذاك . وهو على الرغم من بعده من العربية الفصحى قليلاً او كثيراً يحسب نوعاً

من انواع الادب المصري الذي انتشر بيننا الآن بما نراه من القصص التمثيلية الهزلية المعروفة عندنا فانها تحتوي على كثير من نقد احوالنا الاجتماعية . ولا يزال الادب المصري في اول مرحلة من مراحل . وسنتكلم عن الشعر المصري الحديث في مقال آت .
احمد ضيف

جابر بن حيان

١ — ماهيته التاريخية

لعل أبا عبدالله او ابا موسى^(١) جابر بن حيان بن عبدالله اشتهر من يذكره تاريخ العلم في العصر العربي من العلماء . فان اسمه يقترن من حيث الشهرة ومن حيث الاثر النافع باسماء العظماء من رواد الحضارة والعمران . ولقد قال فيه الاستاذ « برتيو » المؤلف الفرنسي ، وصاحب كتاب « تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى » ان اسمه ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق . فكان جابراً عند « برتيو » اول من وضع لعلم الكيمياء قواعد علمية نقترن باسمه في تاريخ الدنيا

ولقد عرف جابر بن حيان في العالم اللاتيني باسم « جيبير » Geber واشتهر بكتاب عرف في اللاتينية باسم Summa perfectionis — ويقول البجاجة هوليامر بان هذا الكتاب مأخوذ عن كتاب جابر المسمى « الخالص » . على ان لجابر في العالم اللاتيني كثير من المؤلفات المنسوبة الى من يعرفونه باسم « جيبير » ، غير ان هذا الكتاب اشتهرما واعمها بين الناس انتشاراً . على ان الفرق بين « جابر » وبين من يعرف في العالم اللاتيني باسم « جيبير » قد ذهب ببعض المؤلفين في العصور الاخيرة الى القول بانهما شخصان مختلفان . ولكن الاستاذ هوليامر قد اثبت ان جابر بن حيان هو بعينه المعروف في العالم اللاتيني باسم « جيبير » ، وان كل الكتب المنسوبة في اللاتينية الى الاسم الاخير هي تراجم او اقتباسات عن مؤلفات العالم الفارسي اصلاً ، العربي نسبة

في القرن الثامن الميلادي (الثاني من الهجرة) عاش جابر بن حيان في بلاط الخليفة هرون الرشيد في بغداد . وكان على صلة حسنة بالبرامكة ، والظاهر من سيرته انه

(١) يقول بعض المؤرخين ان اسمه ابو عبدالله وآخرون يقولون انه ابو موسى وافاصحت لروايتان دلتا على انه كان لجابر ولدان يدعى احدهما عبدالله والاخر موسى

كان اشد تعلقاً بهم منه بخليفة المسلمين^(١) ، لان البرامكة كانوا يعلقون على علم الكيمياء شأنًا كبيراً ، وكانوا يشتغلون بذلك العلم ويدرسونه درساً عميقاً . ولقد ذكر جابر في كتابه « الخواص » كثيراً من المحاورات التي وقعت بينه وبينهم في مفصلات هذا العلم . ويقول القفطي في ترجمة جابر في كتابه « تاريخ الحكماء »^(٢) انه برز في فروع العلوم الداعية في عهده ولا سيما علم الكيمياء . والظاهر انه كان له نصيب من الاشتغال بعلم الطب وطرق العلاج ، لانه كان من الشائع في ذلك العهد ان يقترن العلم بالكيمياء بالعمل في صناعة الطب

كل هذه الاشياء تحوط اسم جابر بن حيان بكثير من الاسباب التي تدعو الى التأمل والنظر . اما ماهيته التاريخية فالحقق منها اشياء خمسة :
اولاً — ان اسمه جابر بن حيان (بن عبدالله)^(٣)
ثانياً — انه كان فارسياً اصلاً ، عربياً نسبة ومنشأً
ثالثاً — انه عاصر الرشيد والبرامكة
رابعاً — انه كان على صلة ما يجعفر الصادق
خامساً — انه اشهر من الف في العربية في علم الكيمياء

٢ — حياته ومولده

هو ابو عبدالله جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي^(٤) وقد يذكر بكنية ابي مومى . ولا يعرف بالضبط مكان ميلاده . ولكن كل الثقة من المؤرخين يكادون يجمعون على انه ولد اما بطوس في خراسان ، في الشمال الشرقي من بلاد فارس ، واما في حران بالعراق . على ان بعض الذين ترجحوا عن حياته من المشتغلين بعلم المشرق وتاريخه يرجحون

- (١) ولعل هذه الصلة راجعة الى عاطفة قومية اكثر منها الى علاقة علمية
(٢) « جابر ابن حيان الصوفي الكوفي » كان متقدماً في العلوم الطبيعية بارعاً في صناعة الكيمياء وله فيها تأليف كثيرة ومصنفات مشهورة . وكان مع هذا مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلاً للعلم المعروف بعلم الباطن . وهو مذهب المتصوفين من اهل الاسلام — وذكر محمد بن سعيد المرقسفي المعروف بابن المشاط الاضطرابي الاندلسي انه رأى الجابر بن حيان تأليفاً في عمل الاضطراب يتضمن الف مسألة لا نظيره له « راجع تاريخ الحكماء ص ١١١ طبع مصر
(٣) ولعل عبدالله تسمية لغير معروف كالعادة المتبعة في صرف اسم (عبدالله) على الجد غير المعروف في نسبة شخص ما
(٤) راجع ابن النديم في كتاب الفهرست

ان طوس مسقط رأسه^(١) وكذلك يجمع كل النفاة على انه قضى شطراً من حياته في مدينة الكوفة^(٢) — وكان صديقاً للبرامكة وزراء هرون الرشيد^(٣) ، وانه عاش ردهاً من الزمان في بلاط بغداد . وقد ينسب بعض الباحثين الى طرسوس ، كما فعل المستشرق « واستنفلد » Wastenfeld او يذهب غيره الى انه صابئي من حران ، كما فعل المستشرق « دريلو » — d'Herbelot — في المؤلف المسمى « المكتبة الشرقية » Bibliothèquc Orientale — ص ٣٦٠

ومن اغرب ما عثرت عليه في اقوال بعض الذين ترجموا عن حياة جابر من الافرنج ان بعضهم نسبته الى اشبيلية من بلاد الاندلس^(٤) وليس هذا هو الخطأ الوحيد الذي وقع فيه الاوربيون في ترجمة جابر . فقد ذكر في بعض التراجم ان جابر — « اشهر امراء العرب وفلاسفتهم »^(٥) . وفي موضع آخر انه عربي مجرد عن كل نعت^(٦) ثم تجد انه « ملك العرب »^(٧) وفي مخطوطة^(٨) — من المخطوطات نعت بانه ملك العجم ، وفي مخطوطة نادرة كتبت قبل سنة ١٥٠٠ م يدعى بملك الهند^(٩) — وهذا يدل على ان

(١) يقول الاستاذ هوليارد (Holmyard) « ان الراجح ان يكون جابر بن حيان قد ولد بطوس مسقط رأس الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور » . راجع مجلة Science Progress عدد شهر يناير سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠

(٢) قال الاستاذ هوليارد — « يقال ان معمل جابر بن حيان الكيماوي قد عثر به في اثناء الحفر في انقاض منازل بمدينة الكوفة منذ قرنين من الزمان » . راجع مجلة Science Progress عدد يناير سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠

(٣) يستدل على ذلك بانه اهدى اليهم كثيراً من كتبه المعروفة

(٤) يرجح كثيراً ان السبب في هذا الخطأ راجع الى تشابه في الاسم بين جابر بن حيان وجابر ابن افلح الاشبيلي الفيلسوف المعروف الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي (القرن الخامس الهجري) (٥) راجع ترجمة رسل — Russell — لمؤلفات جابر المطبوعة بالانكليزية في لندن سنة ١٦٧٨ م . حيث ذكر انه « the most famous Arabian prince & philosopher »

(٦) راجع النسخة المطبوعة من مؤلفات جابر في نورمبرج Nuremburg سنة ١٥٤١ م

(٧) في النسخة المطبوعة من مؤلفاته في « دانزج » Danzig سنة ١٨٤٢ م . ومن الغريب ان تطبع هذه النسخة في اواسط القرن التاسع عشر ويدعى فيها جابر بانه ملك العرب مع ان الاوربيين كانوا قد جاسوا خلال الشرق وكل كتب التراجم العربية المشهورة لا يخلو منها كتاب من ترجمة لجابر

(٨) Liber practicus Geberis de investigatione perfectai Majestrii (٩) في مكتبة بودلي با كسفورد

(٩) Liber qui Flos naustrarum vocatur, 1473. طبع سنة ١٤٧٣ .

الأوربيين حتى عهد قريب لم يحققوا شخصية جابر بن حيان ، وان كل علمهم بشخصه كان فاصراً على أنه « شرقي » وان غالبهم كان يعتقد أنه « عربي » ، في حين أنه فارسي ينسب الى المدرسة الكيماوية العربية

ويستدل من التواريخ المحققة ان البرامكة ظلوا ممتعين بثقة هرون الرشيد سبعة عشر عاماً اي من سنة ٧٨٦ الى ٨٠٣ ميلادية (١٧٠ — ١٨٨ هـ) . فعلى هذا نستطيع ان نرجع بحياة جابر في عهد فتوته وشبابه الى تاريخ سابق على سنة ٧٦٥ م (١٤٨ هـ) وهي السنة التي توفي فيها جعفر الصادق ، وان عهد رجولته يقع في الربع الاخير من القرن الثامن الميلادي الى ما بين (٧٧٥ — ٨٠٠ م = ١٥٩ — ١٨٤ هـ) اما حجي خليفة في كتاب « كشف الظنون » فيقول بأنه توفي سنة ١٦٠ هـ . اي ما بين سنتي ٧٧٦ و ٧٧٧ ميلادية . غير ان هذا القول ظاهر الخطأ اذا راعينا الاعترافات السابقة وذكرنا علاقة جابر بالبرامكة ، تلك العلاقة المحققة الوجود بكثير من المراجع التاريخية الثابتة اما الجلدقي ^(١) فقد روى في كتابه « نهاية الطلب » كثيراً مما عانى كياو بو العرب لدى اول اشتغالهم بهذا العلم من الاضطهاد والمصاعب . وذكر عن جابر بن حيان أنه خلس من الموت مراراً عديدة ، كما أنه قاسى كثيراً من انتهاك الجهلاء لحرمته ومكانته ، وانهم كانوا يحسدون عليه علمه وفضله ، وأنه اضطر الى الافضاء ببعض اسرار الصناعة (اي الكيمياء) الى هرون الرشيد والى يحيى البرمكي وابنيه الفضل وجعفر ، وان ذلك هو السبب في غناهم وثروتهم . ولما ساورت الرشيد الشكوك في البرامكة وعرف ان غرضهم نقل الخلافة الى العلويين مستعينين على ذلك بمالهم وجاههم ، وقتلهم عن آخرهم ، اضطر جابر بن حيان ان يهرب الى الكوفة خوفاً على حياته ^(٢) حيث ظل مخبئاً حتى ايام المأمون فظهر بعد احتجابه . وكل ما يهمننا في هذه الرواية أن المعروف على رواية ابن النديم وحجي خليفة أنه توفي سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ — ٧٧٧ م) . ولكن اذا صححت رواية الجلدقي فلا بد من ان يكون جابر قد عاش بعد هذا العهد بزمان طويل ، لان المأمون لم يرتق عرش الخلافة الا سنة ١٩٨ هـ = ٨١٣ م . وهذه الروايات المتناقضة توسع مجالاً كبيراً للبحث والتأمل

(١) مؤلف واسع الاطلاع على تاريخ كيماءوي العرب توفي سنة ١٣٦٠ م ٧٦٢ هـ

(٢) لعل هذا هو السبب في نسبة الكوفة عند بعض المؤرخين

٣ — مؤلفاته

كان جابر بن حيان من اكثر العلماء كتابة وتأليفاً. اما قائمة كتبه الاصلية التي كانت بين يدي ابن النديم صاحب الفهرست فقد فقدت . وكذلك تجد ان القائمة التي ذكرها في الفهرست ناقصة لا يعتمد عليها كمرجع يصح ان يعتبر كاملاً . اما العلامة « فلوجل » — Flugel — الالماني فاعتمد عليها واتخذها مرجعاً تاماً ، وكان ذلك من اكبر الاخطاء التي اعنوت ببحثه في حياة جابر هو وتلاميذه الملتفون من حوله ، الناحون في البحث نحوه^(١) اما ترجمة « برنيو »^(٢) لاسماء الكتب التي اخذها عن الفهرست لابن النديم فاكثرها غير صحيح ، وفي ذلك دلالة على انه لم يستطع ان يدرك معنى الاسماء ادراكاً تاماً ، وانه لم يحقق ما وقع فيها من التصحيف والخطأ النقلي

اما اذا اردنا ان نذكر كل مؤلفات جابر التي تناقلت اسماءها الالسن منسوبة اليه فان ذلك يشغل فراغاً كبيراً . ولكننا نذكر هنا اشهر كتبه المعروفة مقسمة الى اربعة اقسام — الاول — (ا) الكتب التي ذكرها صاحب الفهرست والتي يوجد منها طبعات معروفة او مخطوطات محفوظة الثاني (ب) كتبه المشهورة التي لم تعرف في العالم العربي الحديث وعرفت في اوربا — والثالث (ج) الكتب المذكورة في الفهرست وهي اما معروفة بالاسم فقط واما موجودة بالفعل — والرابع (د) الكتب التي لم تعرف الاغناوينها ولقد اجمع اكثر من وقفت على كتاباتهم في جابر على ان كتاب « السموم » من الكتب التي فقدت ولم يعرف منها الا اسمها ، ولكن الحقيقة على الضد من ذلك كما سنرى بعد

(١) الكتب التي ذكرها صاحب الفهرست والتي يوجد منها طبعات معروفة او مخطوطات محفوظة

(١) كتاب اسطقس الاس الاول نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٢) كتاب اسطقس الاس الثاني نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ الجزء

الثاني منه دون الاول

(٣) كتاب اسطقس الاس الثالث نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ ويظهر

ان الجزء الثالث من هذا الكتاب هو المعروف عند صاحب الفهرست بكتاب الاسطقس

(٢١٠) راجع الاستاذ هوليارد رئيس القسم العلمي في الجمعية الطبية الملكية بانجلترا من مقالات عن جابر بن حيان

(٤) كتاب تفسير الاسطقس. هذا يضاف الى الكتب الثلاثة المتقدمة ولم يذكره

صاحب الفهرست

(٥) كتاب الواحد الاول منه نسخة بالقسم العربي من المكتبة الاهلية (Bibliothèque Nationale) بباريس في المجموعة رقم ٢٦٠٦، ويرجح أنه هو بعينه

الكتاب الذي ذكره صاحب الفهرست باسم كتاب الواحد الكبير

(٦) كتاب الواحد الثاني منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

ويرجح أنه المعروف عند ابن النديم باسم كتاب الواحد الصغير

(٧) كتاب الركن يرجح أنه بعينه كتاب الاركان. وقد اخذت مقطوعات منه في القسم السابع من كتاب «رتبة الحاكم» للمجريطي، ويقول هوليارد بان كتاب رتبة الحاكم نسب خطأ الى المجريطي. وقد ذكر جابر نفسه كتاباً له باسم كتاب الاركان الاربعة في كتابه «نار الحجر» اما المجريطي فهو ابو القاسم مسلمة بن احمد المجريطي الذي عاش في مدينة مدريد في حكم الحكم الثاني (٩٦١ - ٩٧٦ م) درس الفلسفة والرباطيات والفلك والكيمياء في الشرق وكان على صلة باخوان الصفا، ويظن أنه كتب بعض فصول من رسائلهم المعروفة، بما في ذلك الفصل المكتوب في الكيمياء وقد أكثر من ذكرهم في كتابه رتبة الحاكم

(٨) كتاب البيان نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٩) كتاب النور نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(١٠) كتاب الزئبق. طبع برتيلو المؤلف الفرنسي كتابين احدهما باسم كتاب الزئبق الشرقي والآخر باسم كتاب الزئبق العربي نقلهما عن مكتبة ليون في القسم العربي بمجموعة رقم ٤٤٠، ومنها نسختان بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(١١) كتاب الشعر منه نسخة بالمتحف البريطاني بالمجموعة رقم ٧٧٢٢ نمرة ٥

(١٢) كتاب التبويب منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦، وذكره الطغرائي، راجع المجموعة رقم ٨٢٢٩ بالمتحف البريطاني

(١٣) كتاب الدرة المكنونة في المتحف البريطاني مخطوطة بهذا العنوان ضمن مؤلفات

جابر بن حيان بالمجموعة رقم ٧٧٢٢

(١٤) و(١٥) كتاب الشمس، وكتاب القمر اي كتاب الذهب، وكتاب الفضة،

يرجح انه مختصر عن كتاب الاحجار السبعة وقد ذكره الجلدقي في نهاية الطلب،
ومنه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(١٦) كتاب التراكيب منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦
ويرجح انه الذي ذكر في الفهرست باسم كتاب التراكيب

(١٧) كتاب الحيوان . يذكر الجلدقي كتاباً نسبة الى جابر بعنوان كتاب
حياة الحيوان

(١٨) كتاب الاسرار . يرجح انه كتاب سر « الاسرار » المحفوظة منه نسخة
بالتحف البريطاني (بالمجموعة رقم ١٣٤١٨ نمرة ١٤) وانه هو الذي ذكر منه الطغرائي
عدة مقطوعات في عدة مواضع (راجع مجموعة التحف البريطاني رقم ٨٢٢٩) وفي اللاتينية
مخطوطة تنسب الى جابر عنوانها (*Secreta secretorum*) في كلية جوفنيل وكايوس
Govnille & Caus college رقم ١٨١ وفي كلية كوربس كرسني
Corpus Christi كمبردج رقم ٩٩

(١٩) كتاب الارض . لجابر كتاب « ارض الاحجار » طبعه برنيانو مأخوذاً عن
مجموعة ليدن رقم ٤٤٠ ومنه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(٢٠) كتاب التركيب الثاني منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة
رقم ٢٦٠٦

(٢١) كتاب الخواص . منه نسخة بالتحف البريطاني رقم ٤٠٤١ وبالمجموعة
رقم ٢٣٤١٩

(٢٢) كتاب التذكير . ترجم العلامة هوليارد اسم هذا الكتاب في الانجليزية
(*The book of rendernig Masculin*) فهو اذن خاص بالبحث في عنصر
الانتاج المعروف وليس بمأخوذ عن مجرد التذكر الذهني . وفي التحف البريطاني مخطوطة
بهذا العنوان مذكورة ضمن مؤلفات جابر بالمجموعة ٧٧٢٢ رقم ١٢

(٢٣) كتاب الاستتمام . ذكر الطغرائي بعض مقطوعات صغيرة من هذا الكتاب
(راجع محفوظات التحف البريطاني رقم ٨٢٢٩) وكذلك ذكره الجلدقي في كتابه نهاية
الطلب . وهذا الكتاب يقابل اسم الكتاب المعروف في اللاتينية ومنسوب الى جابر
ب عنوان *Liber de investigatione perfectioni*

- (٢٤) كتاب الاحجار نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١
- (٢٥) كتاب الروضة ذكره الجلداني في الجزء الثاني من كتابه نهاية الطلب
- (٢٦) كتاب المنافع في مكتبة برلين مخطوطة رقم ٤١٩٩ بعنوان كتاب
منافع الاحجار
- (٢٧) كتاب الايضاح نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١
- (٢٨) كتاب مصححات افلاطون منه نسخة بالقسطنطينية بمكتبة راغب باشا
مجموعة ٩٦ رقم ٤
- (٢٩) كتاب الضمير منه نسخة بالمكتبة الاهلية ببارس بالمجموعة ٢٦٠٦ وذكره
الجلدي في الجزء الثاني من نهاية الطلب باسم كتاب الضمير في خواص الاكسير
- (٣٠) كتاب الموازين طبعه برتيو مأخوذاً عن نسخة بليدن محفوظة بالمجموعة ٤٤٠
ويظن مستر هوليارد ان هذا الكتاب هو المعروف باسم Liber de ponderibisartis
المحفوظة منه نسخة في مكتبة الجمعية الكيماوية بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣ في
لهرست المكتبة
- (٣١) كتاب الملك ذكر صاحب الفهرست ان جابر قد ذكر انه الف كتاباً باسم
كتب الملك . وهذا يدل ان صح على ان الكتاب المذكور كان يتكون من عدة كتب
جمعت تحت عنوان واحد . وبما يؤيد هذا الزعم ان برتيو طبع كتاب الملك عن نسخة
بليدن رقم ٤٤٠ في المجموعة العربية في حين توجد نسخة اخرى مختلفة عما طبع برتيو في
المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٥ وهاتان النسختان مختلفتان عن نسخة من كتاب الملك
نقلت بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ . ويرجح هوليارد ان هذا الكتاب نقل الى
اللاتينية وذكره بوريلوس Borellius راجع محفوظات الجمعية الكيماوية بباريس رقم
١٦٥٤ ص ١٠٣ وذكره كاريني Carini ايضاً بعنوان Rivista sicula
- (٣٢) كتاب الرياض . منه نسخة بمكتبة بودلي رقم ٧٠ واخرى بالمتحف البريطاني
مجموعة ٧٧٢٢ رقم ٥
- اسماعيل مظهر

الطيران التجاري

في اوربا

اصبح الطيران التجاري في اوربا عملاً منتظماً وقد انتشرت فوق اوربا شبكة كبيرة من الخطوط الهوائية فينتقل بالطائرات الوف المسافرين وتنقل مقادير كبيرة من البضائع ولولا مساعدة الحكومات المهتمين بهذا العمل وتنظيمه لمات في مهده ولما كان كما نراه اليوم زاهياً زاهراً

وقفت حكومات اوربا عام ١٩٢٠ امام امرين حقيقيين — اما ان تقف وقفة الناظر الى هذا العمل فيموت واما ان تمتد اليه يدها فيحيا ويعيش فعضدت الامر الثاني وشجعت القائمين به وامدتهم بالاموال فازدهى ونما وذلك لانها رأت في احيايه واسطة جديدة للدفاع عن بلادها ووسيلة فعالة لدرء الكوارث عنها لذلك لا تجد في اوربا كلها ولا في العالم بأسره خطأ هوائياً تجارياً مستقلاً ينفق على تعزيزه من ارباحه وعوائده نخط الشركة الهولندية الذي يعتبر من اكثر الخطوط التجارية شغلاً وانفاقاً يزيد دخله شيئاً قليلاً على نفقاته

فشركات الطيران الانكليزية تتناول كل سنة من حكومتها مليون جنيه انكليزي والشركة الهولندية تتقاضى من حكومتها كل سنة ستة عشر الف جنيه انكليزي وقد تناولت شركات الطيران الالفرنسية من حكومتها ما يقارب سبعة وسبعين مليون فرنك في السنة الماضية ولا يعلم بالتمام ما تتناوله الشركات الالمانية من حكومتها لتعزيز خطوطها ولقد بلغ عدد الذين نقلوا بالطائرات من محل الى آخر في اوربا سنة ١٩٢٤ تسعين الفا وتضاعف عددهم سنة ١٩٢٥ اما مقدار الشحن والوسق فلا يوجد احصاء رسمي له الا انه في ازدياد مطرد

واليك البيان الآتي عن الخطوط التجارية الهوائية في اوربا :

تقوم الطائرة الساعة التاسعة والنصف صباحاً من مطار تمبلدرف في برلين الى امستردام فتصلها الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ومنها اما ان تستأنف طيرانها الى لندن فتصلها الساعة السادسة والنصف مساءً واما ان تنجى الى باريس فتبلغها الساعة السابعة مساءً فتكون

المسافة بين برلين ولندن بالطيارة تسع ساعات وبينها وبين باريز تسع ساعات ونصف ساعة وتستغرق هذه السفرة بين برلين ولندن اثنتين وعشرين ساعة في اسرع قطار بخاري وبينها وبين باريز عشرين ساعة

وتترك الطيارة موسكو عاصمة السوفييات الساعة السابعة صباحاً فتصل الى كونيغسبرغ الساعة السادسة مساءً ومنها يركب المسافر القطار السريع فيصل الى برلين في الصباح الثاني اي تستغرق السفرة بين عاصمة السوفييات وبين لندن وباريز ستاً وثلاثين ساعة يقابلها ثلاثة ايام بالقطار الحديدي لو سار كل هذه المسافة به

ولا تستغرق الرحلة من باريز الى فيينا بالطيارة اكثر من نهار واحد ومنها اي من باريز الى بلغراد ست عشرة ساعة والى الاستانة اربعاً وعشرين ساعة اي ان السفرة من باريز الى الاستانة لا تستغرق اكثر من يوم كامل واذا لم تطر الطيارة ليلاً تناولت ثلاثة ايام مقابل خمسة ايام في القطار الحديدي

ثم ان هلسنغفور عاصمة فنلندا وكوبنهاغن وموسكو وورسو وبراغ وفيينا وبودابست وبلغراد والاستانة متصلة رأساً بالخطوط الهوائية مع برلين وباريز ولندن

ولفرنسا الآن المقام الثاني في الطيران التجاري ففيها تسعة خطوط — اثنان منها يسيران الى مستعمراتها الافريقية والباقية الى انحاء متعددة في اوربا — الا ان الخط من باريز الى لندن اكثرها عملاً وحركة ويستخدمه السياح الاميركيون كثيراً واجرة السفر فيه ستة جنيهات يتلوه في الشأن خط باريز — بروكسل — امستردام واجرة السفر فيه مثل اجرة الدرجة الاولى في السكة الحديدية

وهناك خطان هوائيان يكادان يعادلان الخطين المذكورين ائناً اهمية وشأناً — الاول يسير شرقاً من باريز الى زورخ فبراغ فورسو فجنوياً الى فيينا وبودابست فجارست فالاستانة فانقره . والثاني يسير من طولوز على الشاطئ الاسباني الى الدار البيضاء في افريقيا الى دكر في السنغال وخط من اليكانت في اسبانيا الى الجزائر وآخر من اتبيس الى تونس

ويعتبر مطارها الذين في اللابورجه على تسعة اميال عن باريز من ارق المطارات الاوروبية فهناك البنائيات الفخمة التي لا تحرق والنزل المتقنة وشعب البريد المنظمة والمطحات الارصاد الجوية ومن هذه المخطات يتناول الطيارون التقارير الرسمية عن الاحوال الجوية فيأخذون الامر اهتبه

ولامانيا المركز الاول في عالم الطيران التجاري وهي وروسيا الدولتان الوحيدتان اللتان تسيّران خطوطاً رسمية الى مدينتهما في الداخل والسبب في ذلك انصراف الدول عن التعاطي معهما واقامتها الصعوبات المتعددة بينها وبينهما

وتعتبر برلين اليوم نقطة مركزية في شبكة تجارية هوائية كبيرة تمتد منها الخطوط الهوائية الى كل مدينة كبيرة في ولايات المانيا والى ممالك البلطيق والشمال تخرج من برلين ثمانى عشرة طائرة للركاب كل يوم الى كونيغسبرج ومنها الى موسكو فالمدن البلطيقية ريجا ورثال وهلسنغفور ومن هذه المدن تمتد الخطوط الى درسدن التي ينتظر ان تتصل في القريب العاجل ببراغ والبلقان متى تم الاتفاق مع تشكوسلوفاكيا. ويسير خط يومي الى ليبسك وستتغارت وسويسرا وتمتد خطوط غربية الى هامبرغ وبرلين وامستردام حيث تتصل بالخطوط الممتدة الى لندن وباريز

وفي الجنوب تصل الخطوط الهوائية مونينج وستتغارت وفونكفورت وغيرها من المدن الكبيرة ببرلين وهامبرغ وبرلين وقينا وبودابست وتمتد خطوط هوائية الى كوبنهاغن واستوكهلم وامستردام

وتمتاز المانيا عن غيرها بان لها خطوطاً تحمل بريدها ليلاً فتبرح الطائرة برلين الساعة العاشرة ليلاً فتصل مالو في اسوج صباحاً فينقل البريد الى القطار السريع في استوكهلم الساعة السابعة والنصف

وقد عززت المانيا مطاراتها الهوائية ومحلات النزول فيها. فمطار تمبلدروف في ضواحي برلين يعتبر من ارقى المطارات الاوربية ترتيباً وتنظيماً وتتهيأ المحطة العامة فيه للارصاد الجوية الخرائط المتقنة التي تنبئ عن الاحوال الجوية في اوربا كلها. وفي المطار ذاته مركز متقن للراديو متصل بكثير من المدن الكبيرة في اوربا كلها

وتضاء محطات النزول بين برلين وكوبنهاغن في الطيران الليلي اما الخطوط النمساوية فثمة للخطوط الافرنسية في شرقي اوربا وتتصل النمسا بواسطة الخطوط الافرنسية بزورخ وباريز ولندن في الغرب وبالبلقان وبالاتسكانة في الجنوب الشرقي ويخط آخر يمتد الى ورسو. اما اتصالها بالبلطيق فبواسطة خط بولوني يمر بورسو الى دنترغ ومنها يتصل بالخط الالمانى

ويصل خط الماني قينا بمونينج ومنها يتصل بالمدن الالمانية وبهولندا وبالبلاد السكندنافية

أما روسيا فقد اضطرت أن تخطو خطوة كبيرة في هذا العمل بسبب رداءة سلكها الحديدية وتراخي اجزاء جمهوريتها المتسعة فهناك ألف ميل بين أركنجيل في الشمال وباكو على بحر قزوين وستة آلاف بين موسكو وقلاديفستوك

ففيها خط يسير بين موسكو وكونجسبرغ فيتصل بالخطوط الألمانية وخطان آخران يسير الأول منهما إلى الجنوب إلى روستوف وتفليس وباكو والثاني يتجه من موسكو إلى لنغراد وخط يسير شرقي الأورال وآخر يسير في سيبيريا. وتعد الحكومة الخطوط الجديدة لربط مدن سيبيريا الأوروبية

أما هولندا فالخطوط فيها دولية بسبب صغر البلاد فتسير الخطوط المنظمة فيها إلى بروكسل وباريز ولندن وكوبنهاغن وهمبرغ. وتسير الشركة الهولندية كل يوم خطين منتظمين الأول من أمستردام إلى روتردام وباريز والثاني من أمستردام إلى روتردام فلندن ولأمستردام اليوم مركز خطير في النقل والانتقال الجوي فهي فضلاً عن أنها منتهى الخطوط الهوائية تعتبر أيضاً نقطة تحويل للخطوط الفرنسية والانكليزية والألمانية والسويسرية والدنماركية ومنها أيضاً يتفرق الركاب إلى جهات أوربا المختلفة ويوزع البريد إلى أنحاء أوربا السحيقة كهلسنغفور وموسكو وورسو والاستانة

أما حالة الطيران التجاري في بريطانيا العظمى فمختلفة تماماً عنها في الممالك التي ذكرناها إذ لا فرق يذكر في الوقت بين ما تقطعه البواخر في المياه والطائرات الطائرة في الجو فالسفر من لندن إلى باريز في البحر وفي القطار يستغرق سبع ساعات وفي الجو حوالي ثلاث ساعات أما الخطوط الدولية المستعملة اليوم فتربط لندن بأمستردام وباريز وزورخ وتفتكر الحكومة في تسيير الخطوط الهوائية المنظمة من بلادها إلى مستعمراتها ومناطق نفوذها في الشرق الأدنى

أما دول أوربا الصغرى فبعضها له خطوط خاصة به والبعض الآخر يسعى لتأسيس خطوط هوائية جديدة

الخلاصة مما تقدم أولاً أن في أوربا اليوم خطوطاً هوائية تجارية تسير من بلاد إلى بلاد ومن مدينة إلى أخرى وإن مقدار البضاعة المنقولة على ازدياد مطرد

ثانياً — لا يمكن تسيير الخطوط التجارية بدون مساعدة الحكومة المالية لأن تسيير الشركات لها مستقلة عاد عليها بالخسارة

بَابُ الْمُنَظَرِ وَالْمُنَظَرَةِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشجيعاً للادهان . ولكن العهدة فيها بدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف وبراى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظر مشتقان من اصل واحد فنناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيمها كان المترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالقالات الوافية مع الايجاز تستغفار على المطولة

دروز حوران و ابراهيم باشا

حضرة العلامتين صاحبي المقتطف الاغر

كتب الصديق الحق سليمان بك ابو عز الدين روايات اخرى عن حوادث الدروز و ابراهيم باشا المصري في مقتطف مارس الماضي (٦٨ : ٣١٦) ولكثرة الروايات التي دونتها بعض من شهدها او سمع بها اختلفت الآراء واحتاجت الى التمهيص ولعلنا نقف على اوراق اخرى اصح رواية فنقول : (قطعت جبهة قول كل خطيب) وهذا جوابي على كلامه اللطيف وحسن ظنه بي :

نزوح الدروز الى حوران — كثرت مواقع القيسيين واليمنيين في سورية ولبنان منقولة معهم من البلاد العربية وحوران وتاصلت جذورها بين السكان حتى حمي وطيس الحرب مراراً بين المتحزبين لها فوضعت 'مقالة مطولة في هذه الحروب واصلها وشعار التحارب بين وعلا ماتهم وعاداتهم في حفلاتهم والويلتهم والاسر المنتمية اليهم لا تزال مخطوطة وجل ما عرفت عن المشايخ الحمدانيين ورفقائهم بني ابي فخر انهم هجروا لبنان قبل موقعة عين دارة سنة ١٧١١ لاسباب كثيرة اهمها

(اولاً) احرق بلاد الغرب التي منها كفروا مراراً قبل موقعة عين دارة المذكورة لان اليمنيين اندحروا في موقعة الناعمة سنة ١٦١٦ وقتل منهم مائتا رجل ومن القيسيين ثلاثون واستولى الامير علي المعني القيسي على بيروت واحرق الغرب والجرد والمثني بعد نهبها وهدم حارثي خاله الامير محمد الارسلاني في الشوفات وعرامون الغرب حيث كانت

مقاطعة الشيخ مظفر العنداري اليمني وذلك اقتصاصاً من سكان هذه الاقطاعة الذين نهبوا الشوف واحرقوها في ايام احمد باشا الحافظ والي الشام كما في تواريج لبنان المتداولة^(١) فبالطبع احترقت كفرا لانها من الغرب

فهل يستطيع اليمنيون البقاء بعد هذا التثكيل في قراهم فلماذا ارتحلوا حسب عادتهم الى جيات دمشق والغوطة وامتدوا الى حوران لبيتعدوا عن القيسيين فهدوا السبيل لمهاجرة اليمنيين الى تلك البلدان اليمنية . ولا تزال اسيرة درزية الى يومنا في جرمانا بفواحي دمشق تنتسب الى الامراء الارسلانيين ولكنها تركت الامارة وصارت كرامة الناس

وسنة ١٦٦٠م قومي اليمنيون في لبنان وتولى زعماءهم آل علم الدين الامراء التتوخيون الحكم واقتصوا من القيسيين فاحرقوا دور المعيين والخوازنة والحمادية والمعنية ومديريهم وقطعوا اشجارهم وعاثوا في تلك البلاد واخربوها^(٢) فعاد بالطبع الى لبنان بعض الفارين واستعمروا بعض القرى او ابقوا فيها رجالهم ومريديهم

وسنة ١٦٦٦ حدثت موقعة برج بيروت في محلة الغفلول واستمر القتال بين القبيلتين واحترقت قرى اليمنيين وبينها كفرا لانها في قلب الغرب^(٣) ففر اليمنيون كعادتهم الى ان عادوا سنة ١٦٩٧^(٤) الى بلادهم ولكنهم كانوا يخشون قطع خط الرجعة عليهم كما يقال فكان بعضهم يبقون خشيّة ان يفتك بهم خصومهم ولهذا كانت (كفرا) تعمر ثم تخرب . وسكانها مهاجرون عنها ورجالهم يستعمرونها وهكذا القرى اليمنية

ولهذا السبب يعدل القول بان نزوح الحمدانيين كان منذ قرنين ونصف او اكثر . فكلمة او اكثر تدل على زمن غير محدود وتختمل ان تكون حساباً هجرياً . ويكون الامراء التتوخيون القيسيون قد نكلوا بهم وبلدتهم قبل سنة ١٦٣٣ التي انقضوا بها . والقول هنا تقريبي اذ لا دليل راسخ على صحة تعيين السنة

(ثانياً) لو كان المشايخ الحمدانيون في موقعة عين داره لما سكنت المؤرخون عنهم لانهم من رؤساء اليمنيين ولا سيما ان كثيرين من اولئك الزعماء ذكروا ووصف المؤرخون طريقة الفتك بهم وبأحلافهم

(١) اخبار الاعيان للشدياق صفحة ٢٧٣ و ٦٩٧ (٢) اخبار الاعيان ايضا ص ٣٤١

(٣) اخبار الاعيان ص ٣٤٢

(٤) اخبار الاعيان ص ٣٥٩

فاحرقا كفرا اذن الذي صدع به المؤرخون في موقعة عين دارة ليس الاً استطراداً الى قرى الغرب وارهاباً لليمنيين الذين كان لهم فيها معتصم يلجأون اليه عند استعادة حكمهم فنعوهم عنه

حرب ابرهيم باشا — في المفكرات المخطوطة التي اعتمدت عليها ان الحرب نشبت في جبل الدروز في اواخر سنة ١٨٣٥ وبعد تسعة اشهر خمدت نيرانها فكان الجيش المصري يحتل مواقع حوران ببطء لان معظمه سار للحروب في جهات اخرى . وباضرام جبل الصفا جاره الثورة في اثناء ذلك دليل على عدم انتهاء الحرب حتى ٧ تموز سنة ١٨٣٨ فدخل ابرهيم باشا الحجاز ونظم شؤونته وعاد الى دمشق . وقد استأصل شأفة الثورات في حوران

قواد الحملة المصرية — لافرق بين القول (محمد بك) والقول (محمد باشا) الاً باللقب . فيها واحد . أما طيفور بك فكان من قواد الحملة . ولعل احمد باشا ارفع رتبة منه . وقد سمي الزجال الدرزي الاثنان كما ذكر الاخ سليمان بك في مقالته قواد الدروز وعدد رجالهم — سقطت كلمات قبل ذكر قائدي جيش لبنان وهذا تصحيحها ^(١) « واشتد ازهم بانكسار محاربهم (ومعاوضة اخوانهم دروز لبنان) وكانوا يسرون تحت راية الشيخين .. جنبلاط و .. العماد الخ » لان هذين القائدين حاربا في في وادي التيم وما اليها

أما عدد الدروز المحاربين فمختلف فيه والرواية التي دوّنتها هي من المفكرات التي اعتمدت عليها لانها لشاهد عياني . ولقد وقفت على مفكرات جديدة اصفها في فرصة أخرى تسليم شبلي العريان — هذه رواية جرجس الجيدبس من رجال ابرهيم باشا والامراء احواله وقد شهد المواقع عياناً ودوّن أخبارها . وكيفما كان الحال بالتسليم فان حادثة امين شحورر مهدت امره وفي (المذكرات التاريخية) التي نشرت اخيراً وارجح انها للمرحوم عبدالله بك نوفل الطرابلسي المعروف بالاول وبابي سليم روايات عيانية عن هذه الحروب وهي التي اشترت اليها في مقالتي انها ذيل تاريخ الخوري مخايل بريك ^(٢) هذا ما أراه الآن وفوق كل ذي علم عليم والسلام

عيسى اسكندر المعلوف

زحلة

حول أسلوب الفكر العلمي

قرأت بكثير من الامعان والحب معاً ذلك المقال الذي نشره المقتطف في صدر باب المراسلة والمناظرة من العدد الماضي ، والذي تناول فيه كاتبه نقد مقالتي أسلوب الفكر العلمي . ولست اعلم الى اي حد ذهب تأثير الفكرات التي اوردتها في ذلك المقال من نفسي ، غير ان الظاهر من اسطر مقالته ان الاثر كان بالغاً . على انه كان يقيني فنياً كتبت ثابتاً ، ومهما كان اعتقادي في صحة ما ارى في أسلوب الفكر العلمي عند العرب راسخاً ، فاني لا اتوقع مطلقاً ان اقنع به رجالاً عكفوا على اساليب المدرسة القديمة

لقد وقف الفكر العربي عند حد النظر الغيبي المحسوس بشيء من الشك في حقيقة الاسباب التي كانت تعزى اليها الظاهرات ، وكذلك في مقدرة الفكر الانساني نفسه على معالجة مشكلات ما كان لنا ان نعيب عليهم انهم عجزوا عن حلها . ولكن تقرر وبكثير من الافتناع ان طريقة نظرهم فيها لم تكن لتؤدي بهم الى الوصول الى حلها . افينكر ناقدنا مثلاً ان العرب قد بدأوا نظرتهم العلمي والفلسفي من حيث نريد اليوم ان تنتهي ؟ أينكر انهم بدأوا بالنظر في الماهيات ابتغاء الوصول الى غايات الفلسفة والعلم وانهم اغفلوا النظر في الظاهرات (الاعراض) وتعليلها لينتهوا منها الى معرفة ما هي حقيقة الاشياء

نفسي قليلاً في المقارنة بين الاسلوبين ، الاسلوب الغيبي الذي عكف عليه العرب او المسلمون او كما شئت فادعهم ، والاسلوب اليقيني الذي وضعه باكون وجرت عليه الفلسفة في العصور الحديثة . خذ مثلاً موقف الاسلوبين ازاء الرياضيات . فان العرب كانوا يعتقدون كما اعتقد غيبيو الحكماء ، وعلى رأسهم افلاطون احد اساتذة العرب الاكرمين ، ان دراسة العدد ليس لها من فائدة عملية سوى رياضة العقل على البحث والاستبصار والوصول من طريق هذا البحث الى معرفة حقائق الموجودات وتجريد النفس من ادران المادة والتعالي بالفكر الى ما بعدها . بل انهم لم يجعلوا لدراسة علم الحساب او الهندسة من فائدة عملية ما او احراز كسب مادي في ضرب من ضروب المعاملات كالتيجارة والصناعة او الحاجيات الاولية التي تحتاج اليها الجماعات في العمران . تلك الحاجيات التي لولاها لما كان لدراسة هذه العلوم من وزن يذكر في كل عصور التاريخ . اما لورد باكون فقددر لهذه العلوم قدرها بما تنتج من المنافع المادية التي كان يعتقد الاقدمون انها مرض الانسانية العضال . وشأن العرب في الهندسة شأنهم في علم العدد . فقد

قالوا مجازاة لافلاطون او لمن وصلت اليهم كتبه من تلاميذه او المتخرجين في مذهبه، ان المشتغلين بعلم الهندسة يجب ان لا يتذرعوا بها لاحراز المنافع المادية والا نباهم القصد عن إصابة الغاية منها، لان اشتغال العقل بالماديات يصرفه عن ادراك كنه الموجودات اي ماهياتها او التوصل الى معرفة الحقيقة المحضة والخير المطلق. اما المحدثون اصحاب الاسلوب اليقيني فانهم قالوا بان الهندسة ليس لها من فائدة الا بقدر ما تنتج من فائدة مادية في حياتنا العملية. ذلك في حين انهم لم ينكروا تأثير العلوم الرياضية على الآداب وضروب العقول بته، فوضعوا لآثارها حدوداً معينة، اذ قالوا بان تأثير العلوم الرياضية من الوجهة المعنوية عرضي صرف. وكذلك تجد ان الفرق بين الاسلوبين كبير لدى النظر في علم الفلك. فقد كان القدماء على الاخص المسلوب يعتقدون ان معرفة حركة الاجرام السماوية وكيفية هذه الحركة ليست بذات شأن كبير ولم يحثوا على الاشتغال بالفلك لما ينجم عنه من المنافع كمعرفة الفصول والمواقيت، بل لما ينتج عنه من رياضة النفس على معرفة الحقائق المطلقة. اما الاسلوب الحديث فله في علم الفلك مآرب اخرى منهاها المنفعة المادية المنحصرة في استكشاف المستحدثات

كتب ارسطوطاليس في علم الحيوان وله مباحث عميقة في انقلابه الجنيني وكتب العرب ومنهم الجاحظ في كتابه الحيوان، ومنهم الدميري في كتابه حياة الحيوان وداود الاكبر في كتابه التذكرة، ومنهم القزويني في كتابه عجائب المخلوقات. فهل لنا قدنا ان ينظر في هذه الكتب ويقارنها بكتاب ارسطوطاليس، وكان من الواجب ان لا تغيب عنهم مفصلات ما كتب، ليحكم بعد ذلك علينا اولنا؟ وليسائل نفسه لماذا اصبح منطق ارسطوطاليس بين يدي العرب في المنزل الاول بعد القرآن، كما كان بين يدي اليعاقبة والنساطرة في المنزل الاول بعد التوراة والانجيل؟ هل ينكر ان السبب في هذا ان المنطق وعلى الاخص نواحيه الجدلية اكبر مرض للعقل اذ يكب على الاسلوب الغيبي واكبر عون لفلسفة الغيبيات في سبيل القضاء على الاسلوب اليقيني؟

اما قاعدة جرب واحكم فليس العرب اول من وضعها ولا الاسلاميون اول من اعتمدها. فان ابيقورس وديمقريطس اول من عكف عليها في تاريخ الفلسفة على ما بلغ اليه علمي. وليظهر لنا ناقدنا اي باحث من الاسلاميين في الفلك لم يخلط الفلك بالتنجيم وكشف الطوالع؟ واي كيمائي منهم لم يعكف على تحويل المعادن الى الذهب؟ ولبيّن لنا على اية قاعدة حاولوا ان يخرجوا بالعلوم التي ذاعت بينهم من حيز النظر الى حيز

التطبيق كما يدعى ؟ فلعلنا على جهل بهذا ، ولعله يزيدنا من لدنه علماً
ليس من الصعب ان يتفوه المرء او يكتب كلمتي «جرب واحكم» . ولكن من الصعب
ان يطبق هذه القاعدة . فلو ان في مجرد التفوه بشيء مرقاة اليه ، لاصبح الكلام ثميناً
ولاصبحت الكتب اعلى قيمة مما نرى ، وكان الاجدر بها ان تكتنز وان تشرى باغلى
الاثمان كما يقول تيوغينيس . ولكن الواقع نقيض ذلك . فان «جرب واحكم» شيء
عرفه العرب عن اليونان . ولكنهم مع الاسف لم يتخذوا هذه القاعدة اساساً لبحاثهم
العلمية . وقد يكون هناك شواذ غير ان هذه الشواذ لا حكم لها . ولكن استطيع ان اقول
بكثير من التعيين ان لا شواذ ايضاً

الم يكتب الرازي في تحويل المعادن الى ذهب اشياء لا يقبلها العقل ولا التجربة ؟
الم يكتب جابر بن حيان كتاب اليدوح في طلسمات تسهل على الوالدات الوضع اذا تعذر
عليهن ، وهما بعد اكبر من عرف العصر العربي من الكيمياء ؟ وهل من شيء في هذا
العالم هو احوج الى التجربة والى التخلص من موحيات الاسلوب الغيبي من علم الكيمياء ؟
ولماذا اذهب بالناقد بعيداً . فما عليه الا ان يقلب صفحات تاريخ الحكماء ، وهو من الكتب
المعتمد عليها في تاريخ الفلك عند العرب بتحقيق العلامة نلليو ، ليرينا اي فلكي ممن ذكرهم
لم يأت في اول ترجمته انه «الحاسب النجم» حتى اذا ما رجعت الى كتب «الحاسب
النجم» وقعت على اشياء هي ادنى الى زجر الطير وضرب الحصى ونعيب الغربان وضرب
السقاء منها الى اي شيء في عالم المعرفة الانسانية

والظاهر من كل ما كتب الناقد انه اخطأ فهم ما نعني بالاسلوب العلمي اليقيني .
فانه نرفق في النقد ولم تأخذه حدة اذ توسل ان نجعل العرب في اول مراتب الدرجة
الثالثة اي الدرجة اليقينية من درجات كونت . ذلك لان الاسلوب العلمي فكرة او قاعدة
يهتدي بها الانسان اذ يمضي باحثاً وراء الحقائق . انها ليست شخصاً ولا رمزاً ولا تمثالاً
بل هي طابع تطبع به المدنية ، ونحلة يتخللها الفكر بحيث تصبح تلك النحلة عامة شاملة .
فاذا فرض وظهر في العرب من جرب وحكم او اذا فرض وظهر فيهم من استكشف وقرر
فانما ذلك عمل فردي ذاتي لا يدل مطلقاً على ان ذلك كان للمدنية طابعاً ، او كان
لفكر العام نحلة وديناً

وبعد . فلنرجع به الى السيد جمال الدين الافغاني . فاننا على ما نحمل له في قلوبنا
من الاحترام ، لانبرؤه من العكوف على الاسلوب الغيبي . وهل اثر ناقدنا ذكر رسالة

الرد على الدهريين؟ هل اتاه ذكر ذلك النقد الذي وجه الى داروين، معلم القرن التاسع عشر، محاولاً أن ينقض مذهباً في النشوء، فلم يجد من قول يدفع به حقائق العلم الأ قوله أن مذهب داروين يفضي بالبرغوث لأن يكون فيلاً وبالفيل لأن يكون برغوثاً؟ وإذا سألته لماذا اجابك لأن لكليهما خرطوماً!!! ولا اذكر غير ذلك من تلك الرسالة على ما فيها من فاحش الخطأ وفاضح الخلط، تاركاً لناقدي الحرية الكاملة في ان بقدر الى اية درجة من درجات قانون كونت يبلغ اسلوب الافغاني في تقرير حقائق العلم اما الموسيقى فحائز ان تكون قد اصبحت علماً او فلسفة في العصر الحاضر. ولكنها لم تكن كذلك في زمان العرب. بل كانت مجرد فن لا غير. وهذا ليس ببعيد فان كثيراً من العلوم الحديثة لم تكن منذ زمان قصير الا نظريات او مجرد أفكار ناحية الغيب فيها تربى على ناحية الشهادة

ولست أعرف من اي طريق تبادر الى ذهن الناقد أني اعيب على العرب او على الاسلاميين نقل النساطرة واليهود ووثني حران لمذاهب الفلسفة من قبلهم. أليس هذا ما يرويه التاريخ؟ فلماذا يحمل كلامي على يحمل النيل من العرب او الاسلاميين اذا انا قررت ما يرويه التاريخ؟ وكذلك هو يقول — اصلحه الله — «وما الذي احتاج اليه الاسلام قرناً ونصف قبل الفلسفة». كأنه يعتقد خطأ ان الفلسفة اليونانية لم تدع بين العرب الا في العصر العباسي. وما احياله على شيء يصلح به خطأه الا ان يقرأ تاريخ انفصال يعاقبة والنساطرة عن الكنيسة الرومانية وشيئاً وجيزاً من اتصالهم بالشرق وعلى الاخص بالعراق وسورية ومصر وفارس قبل ظهور الاسلام ليعرف ان كان العرب قد عرفوا الفلسفة من العالم السرياني وهم بعد نصارى ويهود ووثنيين، أم انهم لم يعرفوها الا في العصر العباسي؟

اما ذكر اللاهوت فالحق اني لم اقصد به سوى ما يعنى من كلمة theology ولا اظن ان الناقد ينكر ان المسلمين قد امتازوا بكثرة المذاهب الثيولوجية، وما ذلك عنه ببعيد. على ان في ردو لكثيراً من البعد عما اقصد من اصطلاح اللاهوت. فانه يتساءل كم مجمع اجتمع في الاسلام لتحرير مذهب أو بحث نظرية. كأنه يعتقد ان الأفكار اللاهوتية لا تقوم الا حيث تكون مجامع كمجمع نيقية أو أفسوس أو خلقيدونية. وأظن انه كاف ان يتذكر ان مسألة خلق القرآن وقدمه قد استنفدت من جهود المسلمين بقدر ما استنفدت طبيعة المسيح من الجهد عند النصاري. واي كبير فرق بين مجمع افسوس

وبين مجالس المأمون التي كان يعقدها للبحث في مسألة القرآن وهل هو مخلوق ام قديم ؟ وأي كبير فرق بين طرد النساطرة من الكنيسة وبين جلد الامام احمد بن حنبل وسجنه وامانته ازاء استمسكه برأيه في قدم القرآن ؟ وبعد . فليظهر لنا ما هو الاعتزال وما في القدريّة وما هي الجبريّة وما هي المرجئة ومن هم الاشاعرة ومن هم السنيون ؟ وما هي بقية الفئات المعروفة ؟ إن لم تكن فئات قامت لتحرير مذهب او بحث نظرية ؟

وما اريد ان اذهب معه في البحث لاكثر من هذا . ولكن ذلك لا يحول دون ان اسأله متى وفي اي عصر ازال مدينة الاسلام عن الامم الاسلامية فوارق العصبية ؟ ترك كل شيء آخر لنسأله هل ازال مدينة الاسلام فوارق العصبية بين قبائل العرب في الاندلس وهي لم نطأ اسبانيا الا وهي على خلاف ، ولم تفارقها الا وهي اشد خلافاً في سبيل السيادة والملك انتصاراً للعصبية مما وطأتهما ؟ فاذا كانت الفوارق العصبية لم تزل من بين العرب انفسهم وهم بعد في غمرة من حروب الفرنجة ، فكيف بنا نعتقد ان فوارق العصبية قد زالت من بين الشعوب الاسلامية كما يدعي الناقذ ؟

ذلك ما رأيته ان ابعث به الى ناقدتي على صفحات المقتطف لعله لا يرمينا بعده بالنعصب للجديد لانه جديد ، ولا بالنيل من القديم لانه قديم ، ولكن هو الحق نسعى في سبيل الوصول اليه في هواده وتربته ، لا في ثوره واعساف والسلام

اسماعيل مظهر

نابليون والماسونية

حضرات الدكاترة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف المحترمين

نقولون في الجزء الاول من المجلد السادس والستين ان الماسونية دخلت القطر المصري سنة ١٧٩٧ حينما دخلها نابليون الاول على رأس حملته المشهورة فقد كان معه جماعة من الماسون اسسوا محفلاً ماسونياً دعوه محفل ايزيس « Isis » فهل كان نابليون المشار اليه ماسونياً ؟ حتى يسمح لاعوانه الماسون ان يؤسسوا محفلاً ماسونياً — وما كانت افكاره وآراؤه نحو جماعة البنائين الاحرار مع العلم ان قرينته الاولى الامبراطورة جوزفين كانت عضوة عاملة في المحافل النسائية الفرنسية في باريس « La maçonnerie des dames » ونالت عدة اوسمة ودرجات ماسونية يليق بمقامها

احد القراء

الامبراطوري

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما بهم المرأة واهل البيت معرفته من تربية الاولاد
وتدبير الطعام واللباس والشراب والسكن والزينة وسير شهرات النساء ونحو ذلك مما يعود بالنفع
على كل عائلة

اركان السعادة

للدكتور ولیم سڈلر

قال احد المتشائمين ان السعادة سراب يلح بين فترتين من الشقاء. وارجح ان الرجل
الذي قال هذا القول كان مصاباً بسوء الهضم ولا ارتاب مطلقاً في انه لو اعتنى بطعامه
وصحته لغير رأيه هذا في السعادة

ان مهنة الطبيب تسهل عليه الاحاطة بالعوامل التي تدفع بالناس الى احضان
البؤس والشقاء وقد انقضى عليّ عشرون سنة ادون في دفاتري ما اراه في الذين
اعالجهم من اسباب السعادة او بواعث الشقاء واريد الآن ان اطلع قرائي على الامور
التي احسبها اركاناً للسعادة فاذا ذكر الامور الجوهرية واضرب صفحاً عن الامور العرضية
او الكالية . فبعض الناس يحسب وفرة الغنى مثلاً من الاركان وانا احسبها من الاعراض
وازيد على ذلك فاقول ان وفرة المال تنقلب في كثير من الاحيان على صاحبها فلا تكون
من مقومات السعادة بل تصير من مسببات الشقاء . وقد خلصت هذه الاركان في ستة
بنود هي اولاً الصحة ثانياً العمل المناسب ثالثاً ضبط النفس رابعاً العشرة والصدقة
خامساً الراحة سادساً التدين والفلسفة الروحية

❖ الصحة ❖ وضعت الصحة في مقدمتها لانني رأيت من الشقاء الذي سببه ضعف
الصحة أكثر مما رأيت من اي سبب آخر . ولا يتسع المقام لديّ اذا حاولت ان اصف
كل ما عرفت من الحوادث التي تدور على اناس كان يمكنهم جميع مقومات السعادة من
ثروة واصدقاء وعلم لكن كأس حياتهم كانت متربة بالبؤس لضعف صحتهم . ولقد عرفت
بين هؤلاء كثيرين عادت البشاشة الى وجوههم والنور الى عيونهم ورفرت السعادة فوقهم
لما برئوا مما ألمّ بهم من الادواء

عرفت رجلاً طموحاً الى العلى لا يحفل إلا بما ينيله الاغراض التي يطمح اليها فكان لا يلتفت الى الانتظام في معيشته لاهتمامه بعمله فلا بهمة سواء اكل في ساعات الاكل المينة او لم يأكل وسواء نام او احيا الليل ساهراً بنظر في ما لديه من الاعمال . فكانت النتيجة انه اصيب بسوء الهضم والصداع والارق وزيادة ضغط الدم وهذه الامور ليست من مميزات الوجه الباش والحيا الطلق بل على الضد من ذلك انها صيرته عصي المزاج بنجرير كان غضبه لاقل الاسباب دائم العبوسة مقطب الجبين لا يمضي عليه يوم الا ويختلف مع شركائه في العمل ويفترق معهم على خصام . فجاء اليّ يطلب المعونة والارشاد فنظرنا في حالته ملياً وحاولت ان اقنعه بان عمله اساء اليه اساءة كبيرة وانه اذا شاء النهوض بنفسه وصحّته الى مستوى اعلى فما عليه الا الاصغاء الى مشورة الطبيب والعمل بها . فوضعت له لائحة تحوي على ارشادات دقيقة فيما يتعلق بتنظيم طعامه ورياضته الجسدية وراحته من عناء الاعمال فلم تمض عليه سنة حتى عاد رجلاً طبيعياً بنام ملّ جفونه لا تفرقة البشاشة والطلاقة وصار في امكانه ان يتعاون مع شركائه في العمل تعاوناً اكسبه محبتهم واحترامهم . فالسعادة حالة عقلية روحية في الغالب ولكن اصولها مستمدة من احوال الجسد الصحية

✽ العمل المناسب ✽ الصحة تستدعي العمل والعمل يجب ان يكون على قدر استطاع حسب اختيار العامل يتفق مع ميله الطبيعي لانه كلما زاد حب الانسان لعمله وبيله اليه زادت قدرته على الاكباب عليه من غير ان يلحق به اذى

عرفت سيدة بلت من الشقاء الوانا واشكالا . كانت زوجة رجل غني وليس لها اولاد فلم تجد نفسها في حاجة الى الاهتمام بما يحفف قليلاً من لوعة وحدتها . مات زوجها فاساء شركاؤه تدبير العمل فلم تشعر الا وهي على شفا الفقر . واذا بالحاجة تلمس هممتها الكامنة فتفقد فصارت تنهض كل يوم باكراً وتبادر الى المكتب تعمل فيه بهمة الرجال ولم يمض عليها سنة حتى صار تلم بجميع احواله وتمكنت بسعيها من نشل من هوة الافلاس . ولما رأت ان العمل صارت على اساس متين نظرت الى حالة العمال فاهتمت بهم وابتكرت لها نظاماً لتوزيع بعض الارباح عليهم وهي الآن بين الناس الذين تحيط بهم هالة من السعادة والهناء نراس شركة كبيرة فيها مئات العمال وكلهم سعيد

واذا ذكرت هذه السيدة ذكرت فتاة اتمت دروسها في احدى المدارس التجارية ثم استخدمت كاتبة في احد المحال لكنها لم تكن تسرّ من عملها وجلّ ما تكسبه كانت تنفقه في لوازم المعيشة الضرورية . مرضت في احد الايام فكنت اعودها ونجّدت في

شقى المباحث الى ان افضت اليّ في احد الايام بكرها للعمل الذي تعلمه وكانت تحب الاطفال والحياة البيتية فاقترحت عليها ان تدرس ما يؤهلها لتكون مربية فسرّت بالاقتراح ولما شفيت اقترضت نقوداً من صديقة لها وتعلت في مدرسة خاصة باعداد المربيات وهي الآن سعيدة بعملها يفيض من وجهها نور البشر والسرور

ولا بدّ هنا من ذكر السؤال الذي يوجهه كثيرون من اصحاب الاعمال الى اطبايهم وهو « انني اشعر بضعف عام في صحي فهل تشير عليّ باعتزال الاعمال والتزام جانب الراحة ». انا لا اعتقد ان رجلاً اعتمد العمل يستطيع ان يعتزله اعتزالاً تاماً ويبقى سعيداً عرفت رجلاً من كبار اصحاب المصانع بدأ الحياة فقيراً فانشأ عملاً واسعاً جمع منه ثروة كبيرة . وكان قد وعد زوجته لما كانا فقيرين انه اذا بلغ الخمسين ولديه من المال ما يكفيهما ليعيشا في سعة اعتزل الاعمال لكي يتمتعا بمسرات الحياة . فلما بلغ الخمسين كان قد جمع ثروة طائلة فاعتزل العمل وطاف حول الارض مع زوجته مدة سنتين ولما عادا الى بيتها عاشا نحو سنة اخرى عيشة الراحة التامة . ولم يطل على الزوج المطال حتى بدأ يفخيل انه مصاب بمختلف الادواء فصار يزور طبيبه بانتظام ليفحصه ويطلعه على احوال صحته ولما لم يجد عند الاطباء قولاً يقنعه شرع ينتقل من مصع الى آخر . وانه لكذلك تعرفت به فسردي تاريخه فاقنعته ان داءه الوحيد هو البطالة وما زلت وراءه حتى حملته على العودة الى العمل وبعد انقضاء اربعة اشهر فقط عاد الى حالته الطبيعية في كل اطواره وتصوراتهِ وصار بشوش الوجه طلق الحياء ولا اظنه الآن يعتزل الاعمال مرة اخرى مهما كانت الحال

على انه من الخطأ البالغ ان يحسب احد قضي سني شبابه وكهولته في العمل انه يستطيع ان يسعد بالراحة التامة . لا شك ان الرجل متى تقدم في العمر يجب ان يخفف من شغله ولا يجهد نفسه كأنه في الثلاثين وان يقلل من اهتمامه بتفاصيل عمله ولكن عليه ان لا يترك العمل مطلقاً

✽ ضبط النفس ✽ حياة الانسان سلسلة متصلة الحلقات من العواطف والرغبات والافكار المتضاربة . والمسألة التي يواجهها كل انسان في هذا العصر هي مسألة التوفيق بين هذه الحالات النفسية المتضاربة حتى يعيش بينها في طمأنينة وسلام . والسبيل الى ذلك هو التمرن على ضبط النفس في كل الاحوال لان السعادة وان كانت تستمد اصولاً

من الاحوال الصحية الا انها في الحقيقة حالة عقلية نفسية ومن اهم مقوماتها ضبط النفس
اذا شاء احد ان ينظر الى احوال معيشته المادية والجسدية من وجهة خاصة
ولا تنفق في معظم الاحيان مع المعارف بين الناس رأى كثيراً مما لا يسره .
ولا اريد بذلك انه يجب على كل احد ان ينقاد انقياداً اعمى وراء الآخرين ولكن ارى
ان العادات والتقاليد المرعية الجانب وضعت واستمرت سائدة لانها تكفي الجمهور كثيراً
من التعب العقلي في علاقاتهم بعضهم مع بعض فاذا ثرنا عليها لم نجن من ثورتنا هذه الا
التعب والقلق

ولا بد من الاشارة الى خطأ يقع فيه كثيرون ذلك انهم يخلطون بين حاجاتهم
الحقيقية ومطالبهم التي قد تكون من الحاجات وقد لا تكون كذلك. فاذا اصر احد الناس
على ان يحسب كل ما يطلبه من حاجاته الحقيقية التي لا يستطيع التخلي عنها صادف في
سبيل تحقيقها انواع الفشل والبؤس

فاذا نظرنا الى حاجتنا وجب ان نواجه الحقائق كما هي فلا نجعل الهم رائدنا ومتى
واجهنا الحقائق وجب علينا ان نعزم عزمًا جازماً فيما نريد ان نفعل من غير تردد فالتردد
يسير مع الهم والخوف جنباً لجنب وهما من اضداد الفرح والهناء

ولا شك ان التمرين العقلي كالتمرين الجسدي يمكن الانسان الذي ينظم تمرينه من
القيام باعمال عظيمة . يحاول احد الناس ان يرفع ثقلاً كبيراً فلا يستطيع في بادى الامر
ولكنه يمرن عضلاته شيئاً فشيئاً فتقوى يوماً بعد يوم حتى يستطيع رفع ذلك الثقل في
نهاية شهر من التمرين المنتظم. كذلك في الامور العقلية والنفسية فاننا نستطيع ان نتمرن على
ضبط النفس شيئاً فشيئاً في الامور الصغيرة فنستطيع ان نضبطها في الامور الكبيرة

✽ العشرة والصدقة ✽ الانسان اجتماعي بطبعه وما من انسان يستطيع ان
يعيش منفرداً فالعيشة المنفردة تؤذي بالانسان الى النظر في نفسه والبحث عن نقائصها
ليكشف ما فيها من مواطن الضعف فيحتقرها و يؤذي به ذلك الى ان يصاب بالنورستينيا.
ومن الامور غير المشهورة ان حوادث النورستينيا والاضططاط العصبي اكثر في الارياض
منها في المدن وسبب ذلك طول ساعات العمل والعيشة المنفردة التي يعيشها الفلاحون
وارجح ان اكثر الناس يرون اعظم اركان السعادة في بيوتهم بين نساءهم واولادهم.
قد كنت اعرف صديقاً عزباً غريب الاطوار دائم الكآبة وكانت اكثر معيشته على
الفراد يشكو دائماً صداً وألاماً وهمية . ولما كان في الاربعين لقي فتاة في عمره فاقترن

بها وللحال زالت كآبته ولم يعد يشعر بالآلام التي كان يشعر بها قبلاً ومنذ زمن قصير
تبنى يتيمين واهتمامه بهما الآن وبتدبير مستقبلهما اترع كاس حياته غبطة وسروراً
ومن هذا القبيل رجل كان كثير الاهتمام باموره الى حد غير طبيعي لا يعجز
عجب ويمجد في كل شيء ما لا يسره فحاولت ان اصرفه عن حالته هذه على غير جدوى
واخيراً اقنعتُه بان يسافر حول الارض وان يكتب اليّ مرة كل اسبوعين يطلعي على
احواله فوعد وبرّ بوعده وكانت كل رسائله تنم على الوحشة التي يعانيها والكتابة التي
تلازمه وما زالت رسائله تضرب على هذا الوتر حتى وصل الى مصر فلقي فيها رجلاً
يتفق معه ذوقاً ومشرباً وللحال تغيرت رسائله وصرت ارى من خلال سطورها ان روحاً
جديدة دبّت فيه وبعد ما كان قد عزم على العودة الى اميركا ففجّره اتفق مع
صديقه الجديد على ان يتما الرحلة حول الارض معاً

✽ الراحة بالتغيير ✽ ولا اريد بالراحة الانقطاع عن العمل بل اريد بها الاهتمام
بعمل يختلف عن العمل العادي الذي يشغل اكثر ساعات النهار . ان سرعة الحياة في
هذا العصر لا تدع لنا متسعاً من الوقت للاهتمام بالامور التي تجعل للحياة قيمة خاصة
كالصداقة الصحيحة والحياة العائلية الهنيئة وما اليها

ان مجرد الفكر بان لديك متسعاً من الوقت للاهتمام بامور غير عمالك العادي كافي لان
يبعث في الحياة شعاعاً من النور . ولذلك ارى ان القول المأثور عن تقسيم اليوم الى ثلاثة
اقسام ثماني ساعات للعمل وثمانتي ساعات للنوم وثمانتي ساعات للترفيه يجب ان يكون دستور
كل طالبي السعادة في هذا العصر . فالفرص او الاجازات لازمة للصحة وهي في الوقت
نفسه من اعظم مقومات السعادة

النوم يريح الجسم من العمل ولكنه لا يريح العقل من الهم والعقل لا ينال من
من الراحة نصيباً كافياً الا بتغيير نوع العمل واذا كان ذلك في الهواء الطلق كان غايه في
الفائدة الصحية والعقلية معاً

✽ التدين والفلسفة الروحية ✽ الانسان متدين بطبعه وهذا التدين يسبغ عليه
من الطمأنينة والثقة ما يجعله سعيداً خالياً من الهم والخوف . والهم والخوف هما اساس
لاكثر ما نراه من البؤس وعدم الهناء

وزد على ذلك فان التدين يفسح مجالاً لثبو بعض العواطف النبيلة كاحترام وانشكر
والتواضع والكرم ومحبة الغير . وعلى المتدين ان لا يخلط بين السعادة الصحيحة الناجمة

عن كل ما تقدم والسعادة كما يفهمها البعض اي ارضاء الشهوات . ان المتدينين الذين يعرضون عن السعادة لانهم يحسبونهم ارضاء للشهوات يبعدون كثيراً عن الوصول الى غرض الدين الحقيقي

الجدري علاجه ومنعه

فشت في انحاء القطر المصري حوادث الجدري فأبنا ان تثبت خلاصة في هذا المرض واعراضه وكيفية علاجه ومنعه ملخصاً عن كتاب الباثولوجيا لاساتذنا الدكتور فان ديك وعن الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيديا البريطانية وعمما كتبناه في ترجمة جنر مكششف تلقح الجدري الوافي

الجدري في الانسان علة ناتجة عن سم مرضي خصوصي يدخل الجسم ويمكن فيه مدة ويكثر وهذه المدة سميت مدة الحضانة . ومتى انتهت وكثر السم المرضي في الجسد يحدث حمى من النوع المتفتر يعقبها نفاط على الجلد وبعض الاحيان يظهر هذا النفاط على سطح الاغشية المخاطية ايضاً وله اربع درجات الاولى ذبابة ثم حويصلة ثم بثرة ثم جلبة اي قشرة البرء ويبقى في موضعه اثر دائم . وهذا المرض يسير سيراً محدوداً وفي الغالب يزول قابلية المصاب للإصابة به ثانية

وللجدري اربع درجات الاولى درجة الحضانة وهي الواقعة بين دخول جرثومة المرض الجسم وهجوم الحمى الاولى وهي في الغالب ١٢ يوماً ولكنها قد تختلف بين تسعة ايام وخمسة عشر يوماً

اما الدرجة الثانية فهي بين هجوم الحمى الاولى وظهور النفاط . فبعد مدة الحضانة المثار اليها آنفاً اي بين اليوم الثاني عشر واليوم الرابع عشر عقيب دخول العدوى الى الجسم ينجم العليل حمى شديدة حتى لقد تبلغ حرارته درجة ٤٠ بميزان سنتغراد او اكثر وفي اليوم الرابع بعد ابتداء هذه الحمى يظهر الجدري ونادراً يظهر في اليوم الثالث ونادراً يتأخر عن اليوم الرابع . وقد سميت الحمى الاولى تمييزاً لها عن الحمى التي تظهر عند بلوغ النفاط وقد دعيت الحمى الثانية . وهذه الحمى لا بد منها وقد تستدئ حتى تمت العليل قبل ظهور الجدري اي قبل اليوم الرابع من ابتداءها . ويرافق الحمى سرعة النبض وعطش وامساك وصداع وقيء والم في الظهر

اما الدرجة الثالثة فتبتدئ حين يظهر النفاط . واول ظهوره على الوجه والجبهة

والرصفين ثم على الجذع ثم على الاطراف نحو يومين بعد ظهوره على الوجه . وله سير محدود فيظهر اولاً على شكل حبوب صغار مثل لسعة البرغوث منفصلة لا يشعر بنتوها عن سطح الجلد الا قليلاً . وقد سميت النفاطة وهي كذلك ذبابة او نملة ومدتها بين ٢٤ ساعة و ٤٨ ساعة ثم تصير الذبابة حو يصلة فيصير فيها مادة مصلية صافية وهذه الدرجة تدوم اربعة ايام ثم تصير الحويصلة بثرة باكتساب ما فيها صفات الصديد شيئاً فشيئاً . وفي نحو اليوم الثامن من ظهور النفاط يظهر في رأس البثرة نقطة ممراء وعندها تنفجر البثرة فيخرج صديدها

والدرجة الرابعة من درجات المرض هي الحمى الثانية ذلك ان الحمى الاولى تهجع في الغالب عند ظهور النفاط في اليوم الثالث او الرابع فتعود الى الظهور عند انفجار البثرات . ويحمد الصديد الخارج من البثرة ويكون الجلبة اي القشرة التي تسقط بين اليوم الحادي عشر والخامس عشر

اما عدد البثرات فيختلف حسب شدة المرض وخفته فقد تكون خمساً او ستاً في كل الجسد وقد تبلغ الوفاً . وسواء كثرت ام قلت فاكثرها على الوجه لنسبة مساحتها الى مساحة الجسد . وقد قال بعضهم انه اذا بلغ عدد النفاط في الجسد كله ١٠ آلاف كان الفان منها في الوجه

فرض الجدري من افكك الامراض فاذا لم يقتل من يصيبه تركه في الغالب اعمى او قبيح المنظر . وكان الناس في تركيا قد وجدوا بالاخبار انهم اذا قطعوا بصديد من مجذور جذره خفيف اصابهم جدري خفيف وقام من الجدري الثقيل وتعت ذلك اللادي ماري ورتلي مونتاغو وهي في القسطنطينية واذا عت ما تعلمته في بلاد الانكليز في خبر يطول ذكرناه به في الجزء الاول من المجلد التاسع عشر من المقنطف في مقالة موضوعها « تطعيم الجدري اكتشاف شرقي » . لكن هذا النوع من التطعيم لم يكن سليماً دائماً واذا سلم المطعم به فقد يعدي غيره بجدري مميت . ويقال ان فتاة حلاية سمعت اناساً يذكرن الجدري فقالت انها آمنة على نفسها لانها عديت مرة بجدري البقر وكان ذلك على مسمع من الدكتور جنر فخطر له ان جدري البقر قد يكون واقعاً من الجدري الذي يصيب البشر واسلم عاقبة من التطعيم بالجدري نفسه . والمرجح ان كثيرين من الاطباء سمعوا ذلك قبله وتحققوه ولكنهم لم يبنوا عليه بناءً مفيداً . وهنا تظهر مزلة المكتشفين فانهم يرون ما لا يراه غيرهم ولو كان ظاهراً للعيان . وكأنه فكر في الامر على

هذه الصورة فقال ان الذي يجدر مرة فلا يجدر مرة أخرى فالجدري بقي المجدور من الاصابة به ثانية ولو كان جدريه خفيفاً في المرة الاولى . وجدري البقر اخف وطأة من جدري البشر فاذا جعلنا الانسان يعدى به كما تعدى الحلابات فالجدري الذي يصيبه خفيف وبقيه من ان يعدى مرة أخرى مجدري ثقيل . وللحال جعل يجرب ذلك وتجاربته الاولى بدأت سنة ١٧٩٦ ونشر اول رسالة في هذا الموضوع سنة ١٧٩٨ . ومن ثم شاع التطعيم الوقاية من الجدري وانتشر في المسكونة كلها كما ينتشر كل عمل مفيد ولو لم يعلم الاساس العلمي الذي بنى عليه

ويجب ان يجعل العليل حين الاصابة في محل مهوي يضبط عن كثرة الهواء اذا افضى الامر و يتهوئ متى اقتضى ويدثر بما يمنع عنه حاسة البرد وتبدل ملابسه التجمانية يومياً ويتناول من الاطعمة المغذية السهلة الهضم مقادير كافية مقسمة على مدد معينة وبقي من الاشربة المبردة مثل الحوامض النباتية وفي ابتداء المرض يعطى مسهلاً لطيفاً لتنظيف القناة الهضمية

والوقاية خير من الدواء وقد ثبت بالاختبار الطويل ان التطعيم المعروف الآن بقي من الاصابة بالجدري وتدوم الوقاية العمر كله او بضع سنوات فقط ولذلك يحسن اعادة التطعيم مرة او مرتين بعد بضع سنوات

حفظ البرتقال

لا بدّ لحفظ البرتقال وكل الاثمار طرية من امرين الاول ان تكون خالية من الرض لانها اذا رضت دخلتها مكروبات الفساد والاختار في مكان الرض وهراًتها . والثاني ان يمنع تبخر الماء منها والا جفت من نفسها . فاذا كان قشرها لا يمنع التبخر كقشر البرتقال فلا سبيل لحفظها الا اذا دهن بمادة صمغية تسد مسامه وتمنع تبخر العصارة منه . واللف بالورق الصقيل يفيد بعض الفائدة ولا سيما اذا كان الاقليم رطباً غير جاف . اما الاقليم الجاف فتتبخر فيه عصارات الاثمار وتجف ولو لفت بالورق

باب الزراعة

جوائز المعرض الذهبية

اشرنا في مقتطف ابريل انه اقيم في المعرض المصري الزراعي الصناعي لجان ترى المعروضات وتحكم في درجات جودتها ووعدا ان ننشر قرار هذه اللجان او ننشر القسم الاول منه وانجازاً لذلك ننشر هنا اسماء الذين اقرت اللجان على اعطائهم المدايات الذهبية والذهبية الفضية والفضية

مدالية الشرف الذهبية الممتازة

عبد الفتاح اللوزي بك للنسوجات . وفؤاد وامين الماوردى للموبليات . وس . سورناجا للطوب والقرميد والخزف

مدالية الشرف الذهبية

عبد الغنى بك . سليم عبده . ومحمد وعبد الفتاح الصافي للنسوجات . ونستور جينا كليس للسجائر

المدالية الذهبية الممتازة

علي افندي حسن علي للادوات الطبية : وشركة الدفراوى وباباتولوجو للسجائر . ومحمد مختار الجمال للزبدة والجبن . والمدبغة اليونانية (مفريلى) للجلود . وشركة الكاوتش الافريقية للكاوتش . وعبد الشافى عمر للخيام المنقوشة . والشيخ مصطفى عبد النبي للنسوجات . وكنتوار ليون المان للسبائك الذهبية والفضية

المدالية الذهبية مع شهادة دبلوم

الشيخ محمود السيد بركات وعبد الحميد ماهر وعبد الرزاق حلمي للنسوجات . وشركة السكر والتكرير للسكر

المدالية الذهبية

محمد سليمان البحيري واولاد احمد بك توكل للنسوجات . والشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الاقطان . وشركة كتان صروف للكتان وحليج . واخوات وسبلا

لنطريز. واصلان فيدون للملابس. وعبد الله محمد الخيمي للخيام المنقوشة. وعبد الله افندي مصطفى للسجاد. ومحمد عمر افندي للحصر. واحمد السيد النادي ومحمود واحمد حسنين ومحمد فهم الجندي وعلي محمد الطرايشي والمدرسة الالهامية وشركة ترقية التجارة المصرية (بالمنصورة) للمنسوجات. وملجأ الامير فاروق للمنسوجات وغيرها. ومحمود علي الصديحي للتطعيم. ومدرسة السيدة هدى هانم شعراوي للخزف. والسيد فرج الاسرة وطلاء المعادن. وابراهيم مصطفى واحمد حسين جمال الدين للنحاس المنقوش. وطه محمد الحسيني للنحاس. وشركة ترام الرمل لمركبة مصنوعة بالاسكندرية. وعبد الرزاق بك نصير لنماذج العمارات. وجريدة السياسة نموذج لمنزل الفلاح. ومكالدوني سانتو لخرقة المباني. وفيلدمان لارضيات خشب بدون لحام. ول. جوجانيان للحداثة. ولييب وامين نسيم للالوان الطبيعية. ومحمد عبد الله الديب لاحذية السيدات ومحمد حافظ لاحذية. ومطبعة مصر للطباعة. وابراهيم لمعي افندي للحبر والصمغ وعمل الظروف. وارستون وتولا اسبانتس لياه المعدنية. واحمد اسديه واولاده للحلويات والفطائر. وندلر اخوان للحلويات. وعبد المجيد الرمالي بك للخبز والبسكويات والبسمات. والاستاذ فكتور روزتو لسبا الفلاح. وبرسموي لفلم سينماتراف في مصر. والشيج احمد ابراهيم واخوه للطباشير والظهرة. ومعامل فؤاد سالم خليفه واسكندر حزيون للمستحضرات الطبية. ومحمود رياض كحلة لحقائب جلدية. ومحمود وعلي واحمد الطويل لدباغة الجلود. وحسن خليل حسن لاطقم العربات. ومسيو جرينيه لتحضير بعض الاعطار. وحاجي باراسكي لخضروات مخنوقة. ومحمد بدوي لحلويات ومكرونة. وشركة الزيوت المصرية (اجولين) للزيوت. وشركة الهواء السائل للهواء السائل المضغوط. وماتوسيان للسجائر. وشركة السباخ المصري للسماد العضوي. وشركة سالونيك للسجائر. ومحمد السامي المغربي لخرايط وكتب. وبيرة الابراهيمية وكرون بروري للبيرة والعلف

المداية الفضية الذهبية

هري كليجر للتريكو. وعبد الرحمن العجمي ومصطفى محمد عيد للمنسوجات. ونجيب افندي يعقوب وعبد الغني محمد موافي للمنسوجات والسجاد. وزبيده قصيري لصور بالابرة. ومشفل المرأة الجديدة لمجموعة معروضات. وشركة الملابس المصرية للملابس مجهزة. ورزق الله عوض لطرح تالي. ورزق الله جبران ومحمود محمد احمد المؤيد للسجاد. ومحمد ابراهيم عمران وابراهيم ابراهيم الفطرافي لأكلة صوفية. وصادق افندي ابراهيم لنباتات

ليفية وشعرية . ودود القز . ومارنجاكس وزير قوس للقرميد والفخار والخزف . واحمد يوسف الطويل لبلاط اسمنت . وا . روسنيج للموازين . واسكندر سيوفي للمويليات . ومحمود محمد علي المذهباني للمويليات الذهبية . وراشد مصطفى لمويليات الخيزران . ومحمود علي لآلات ظرب . وعياد جبره الرافعي لاشغال السن . واولاد يوسف عبد الواحد ونور وامين السرجاني لاشغال الصياغة . وعلي الحمزاوي للنحاس المنقوش . وزرايه سيمكان لادوات نحاسية . ويوسف طاهر افندي لتاثيل وزخارف . وشاكر نحاس للغراء . وجميل زاده محمد علي للحلويات . والدكتوران عامر وحقي لزواج عطرية . وعبد محمد حجاب لصنع سيور جلد . وبتايوني راميووني لجلود مدبوغة . وموريس زيدان وكورك ايبكيان للسجاير . وستراك ميشيان لاسطوانات فوتوغراف . واحمد محمد نصار للزبدة والجبنة والقشطة

خيول المعرض المصري

عُرض في المعرض الزراعي الصناعي ١٣٣ من الخيول ٩٥ منها قدمت الى لجنة التحكيم ٣٨ لم تقدم لها وهي ١٩ من الجمعية الزراعية الملكية و ١٩ من الحكومة المصرية فنال الجائزة الاولى من الخيول المعروضة للتحكيم ستة وهي حصان لعلي ابو جازية بك من خيل الغربية وحصان لصالح الدين الشواربي بك من خيل القليوبية وحصان لبشري حنا بك من خيل المنيا وفرس للقائم مقام صبري بك من افراس الوجه البحري وفرس للشيخ محمد منصور من افراس الجيزة وفرس لمرزا عبد الجواد بك من افراس الوجه القبلي . فهنيئاً اصحاب هذه الخيول وعسى ان يزيدوا اهتماماً بتأصيل الخيل حتى تصير من الطبقة الاولى بين الخيول في هذا العصر

المعروضات الزراعية

عرضت في المعرض كل انواع الحاصلات الزراعية كالقطن والقمح والشعير والذرة والارز والفول والبرسيم وقصب السكر وانواع الخضروات كالطماطم والكوسى والقنبسط والبطاطس والخيار والبابايا والكرونب والبادنجان

وانواع الفاكهة كالموز والبرتقال واليوسني والليمون الحلو والمخ

وسنأتي في المقتطف التالي على اسماء الذين نالوا الجوائز الاولى لاجل ما عرضه

بَابُ التَّقْرِيطِ وَالْإِنْقَادِ

في الشعر الجاهلي

تأليف الدكتور طه حسين استاذ الآداب العربية في كلية الآداب بالجامعة المصرية
الشك اول مراتب اليقين . ويقول الانكليز ما مفاده « ان الشك مع الاخلاص ايمان مضاعف » . نحن ابناء العربية اكثرنا مقيم في مصر والشام والعراق ولهذه البلدان عمران قديم يرجع الى ستة آلاف سنة او اكثر ولم نزل آثاره الفنية والادبية والعلمية ماثلة امام عيوننا منقوشة في الصخر وشار اليه فيما كتبه مؤرخو اليونان والرومان منذ اكثر من ألفي سنة فتتوق نفوسنا ان نرى مثله في تاريخ اللغة التي ورثناها وريتنا فيها فلا نجد شيئاً من ذلك الا فيما وصل الينا من الشعر الجاهلي وهو لا يبعد بنا الى اكثر من الف وخمسمائة سنة فمن يجسر ان يطعن في قدمه ويجرد ابناء العربية من ميراث باخرون به على قلته ولو جاء بعد مفاخر المصريين والاشوريين والفينيقيين بالوف من السنين . هذا الطعن بل الشك في نسبة الشعر الجاهلي خطر لنا منذ نحو ستين سنة حينما قرأنا قصة عنتره العبسي ثم تكرر مراراً بعد ذلك الى الصيف الماضي فتهيبناه . فهل اقدم عليه الدكتور طه حسين غير هياب ولا وجل

جاءنا كتابه ونحن على اهبة السفر لنقضي يومين في اطيان لنا وقد اصاب عنوانه غرضاً في النفس والمؤلف مدقق والكتاب صغير الحجم لا يتجنبه من سئم مطالعة الكتب فأنطأه وقلنا خيراً وشرعنا نطالعهُ غير « ساخطين » ولا « مزورين » لاننا كنا نبحث فيه عن الادلة التي استدلل بها والاسانيد التي اعتمد عليها . تصفحنا المقدمة الى ان وصلنا الى قوله « ان الكثرة المطلقة مما نسميه شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وانما هي مثقلة مختلفة بعد ظهور الاسلام... واكد لا اشك في ان ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء » . فوقفنا وقفة المراتب لانه اذا وجد شعر جاهلي صحيح فالمرجح انه يمثل حالة قائله ويثبتهم لان الشعراء في البداوة يعبرون عمماً في قوسهم ويصفون ما يحيط بهم وهذا نراه فعلاً في بعض الشعر الجاهلي وراه المستشرقون الذين اطلعوا عليه حتى ليفضلوه على الشعر المصري من هذا القبيل

وبعد المقدمة دخل الاستاذ ميدان البحث دخول مبارز متخلياً عن كل ما يعوقه في بحثه فقال « يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربي وتاريخه ان ننسى قوميتنا وكل مشيختاتها وان ننسى ديننا وكل ما يتصل به وان ننسى ما يصاد هذه القومية وما يصاد هذا الدين يجب ان لا نتقيد بشيء ولا نذعن لشيء الاً منهاج البحث العلمي الصحيح ذلك انا اذا لم ننس قوميتنا وديننا وما يتصل بهما نضطر الى المحاباة وارضاء العواطف ونفل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين »

وكل هذا الفصل المعنون « بمنهج البحث » عظة من المواعظ التي لا بد من العمل بها اذا اردنا ان يكون لشرقنا حياة علمية

ثم فصل ما اجمله فيما تقدم وبين ان لغة الشعر الذي وصل اليها لم تكن لغة كل قبائل العرب في الجاهلية . قال « ولكنك تقرأ هذه المطولات او المعلقة التي يتخذها النصار القديم نموذجاً للشعر الجاهلي الصحيح فتري ان فيها مطولة لامرئ القيس وهو من كندة اي من قحطان . واخرى لزهير واخرى لعنترة وثالثة لعبيد وكلهم من قيس . ثم قصيدة لطرفة وقصيدة لعمر بن كلثوم وقصيدة للحارث بن حنظلة وكلهم من ربيعة . تقرأ هذه القصائد السبع دون ان تشعر فيها بشيء يشبه ان يكون اخلاقاً في اللهجة او تباعداً في اللغة او تبايناً في مذهب الكلام . البحر العروضي هو هو وقواعد القافية هي هي والالفاظ مستعملة في معانيها كما تجدونها عند شعراء المسلمين والمذهب الشعري هو هو . فحينئذ بين اثنين اما ان تؤمن بانه لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي . واما ان نعترف بان هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل وانما حمل عليها حملاً بعد الاسلام ونحن الى الثانية اميل منا الى الاولى . فالبرهان القاطع قائم على ان اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقة واقعة بالقياس الى عدنان وقحطان » هذا ما قاله الاستاذ ولكنه لو انعم نظره في اللهجات العربية الشائعة الآن في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى بل في القطر الواحد كما في الوجه القبلي والوجه البحري لترجع له ان الاختلاف بينها لا يقل عما كان بين لهجات قبائل العرب ومع ذلك فالاشعار التي ينظمها شعراء هذه البلدان متماثلة لا يختلف بعضها عن بعض الا كما يختلف شعر شاعرين من بلد واحد . ولكن اذا كان الاختلاف قائماً في نفس اللغة كما بين لغة حمير ولغة مضر تعذر ان يكون لها نوع واحد من الشعر وان وجد شعر منسوب الى حمير وهو بلغة مضر فهو مصنوع ولو ترجيحاً

انتقل بعد ذلك الى اسباب انتحال الشعر فذكر اسباباً وجيهة جداً ونظن ان كل من قرأ ما كتبه من الصفحة ٤٧ الى الصفحة ١٢٤ يترجم له ان الشعر المنسوب الى الجاهلية مصنوع اكثره او كله

وبعد هذا الاجمال استطرد الى التفصيل فبدأ بذكر امرىء القيس المحدود اشعر شعراء العرب فحاه من الوجود كشاعر وربما نفاه ايضاً كرجل مستدلاً على ذلك بادلة كثيرة كادت تقنعنا بصحة نظريه لولا انها ذكرتنا بكتاب قرأناه في صباننا للدكتور هويتلي رئيس اساقفة دبلن وقد كان من اكبر علماء المنطق في البلاد الانكليزية فانه تألم من الذين انكروا صحة ما جاء في الانجيل عن السيد المسيح فألف هذا الكتاب واقام فيه الادلة العقلية والعقلية على ان نبوليون يونانيرت شخص وهمي لم يوجد. لكن اذا صح ما نقله صاحب «شعراء النصرانية» في ترجمة امرىء القيس وهو ان مؤرخي الروم ذكروه في نوارينهم فلا يفتني وجود الرجل ويقصر النفي على نسبة الشعر اليه. ثم ان السر تشارلس ليل ذكر امرىء القيس في المقدمة التي قدمها لديواني عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل وذكر ما يروي من التجائه الى قيصر كانه امر مقرر

وجاء في الانسكلوبيديا البريطانية المطبوعة سنة ١٩١١ في ترجمة امرىء القيس انه اخذ كتاب توصية من الحارث الغساني الى الامبراطور يوستينيانوس وبعد ان اقام مدة في القسطنطينية جعل اميراً (فلوخرساً) على فلسطين وسيره يوستينيانوس الثاني اليها بكتيبة من الجند. لكن كاتب هذه الترجمة لم يذكر السند الذي استند اليه ومن الغريب ان ابا تمام لم يذكر امرىء القيس في حماسه مع انه كان في اوائل القرن الثالث الهجري فهل غفل عنه او كان شعره لم يوضع الى ذلك الحين

ثم تناول عبيد بن الابرص فنفاه ايضاً واحنقر ما ينسب اليه من الشعر. مع ان السر تشارلس ليل وهو اكبر المستشرقين الانكليز طبع ديوان عبيد بن الابرص وديوان عامر بن الطفيل سنة ١٩١٣ عن نسخة كتبت في اوائل القرن الخامس الهجري بعد ان ترجمها الى الانكليزية. وفي ديوان عبيد ثلاثون قصيدة عدا المقاطيع التي وجدها السر تشارلس واكثرها بدوي محض كالقصيدة السابعة والعشرين التي مطلعها لمن الدار افقرت بالجنان غير نوي ودمنة كالكتاب

واغفل ابو تمام شعر عبيد بن الابرص من حماسه وذكره في شعره ولكن الامام الشيرازي استشهد بشعره حيث قال

فان قتلتُ فلا تركب لتثأر بي وان مرضت فلا تحسبك عوادي
فهل وضع شعره بين زمن ابي تمام وزمن التبريزي . ولم نر هذا البيت في الديوان
الذي نشره السرتشارلس ليل

وانتقل الامتاذ طه حسين الى عمرو بن قبيصة والمهلل وجليلة امرأة اخيه فالحقهم
بامرى القيس وعبيد بن الابرص فلم نأسف الا على جليلة فاننا نود ان تكون هي صاحبة
الرناء الذي نسب اليها

ثم اشار الى عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد والمتلس . وعجبه شعر
طرفة فوصفه احسن وصف وقال « لست ادري اهذا الشعر قد قاله طرفة ام قاله
رجل آخر وانما الذي يعنيني هو انما هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا انفال . وختم
الكتاب بالاشارة الى بحث آخر لعله اصعب من البحث الذي طرقة الآن وهو كيف
نشأ الشعر العربي . وعسى ان يجعله موضوعاً لدروس اخرى يتخف بها تلاميذه وقراءه

وبعد فقد اشرنا في صدر هذه السطور الى امر تهيناه ووعدنا بان نعود اليه فنقول
جاءتنا مجلة الجمعية الاسبوية في يوليو الماضي وفيها مقالة متمعة للمستشرق المحقق الدكتور
مرغوليوث استاذ العربية في جامعة اكسفورد موضوعها « اصل الشعر العربي » وخلاصتها
الشك في نسبة الشعر الجاهلي . وقد اقام على ذلك ادلة كثيرة اقواها انا نرى ذكر الشعر
والشعراء في آيات كثيرة من القرآن على اسلوب يظهر منه ان العرب كانوا يفهمون بالشعر
غير ما نفهمه الآن اي ان شعرهم لم يكن الكلام الجاري على الصناعة الشعرية من
يجور الشعر وقواعده المعروفة عندنا فليس هو كالشعر المنسوب الى عرب الجاهلية

ومن هذا القبيل ورود كلمات وجمل ومعان في الشعر الجاهلي واردة في القرآن دلالة
على ان اصحابها اقتبسوها منه كقول عبيد بن الابرص

حلفت بالله ان الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفح
وقوله من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا ينجب
وقول ذي الاصبع

الله يعلمكم والله يعلمني والله يميزكم عني ويميزني

وقول جليلة اخت جساس

اني قاتلة مقتولة ولعل الله ان يرتاح لي

والاستشهاد بالله كقول الحرث بن عباد
لم اكن من جناتها علم الله واني بجرها اليوم صال
وانه رب العالمين كقول الاسود

اقول لما اتاني هلك سيدنا لا يبعد الله رب الناس مسروقا
وفي سورة هود «تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل» الآية. والاشارة هنا الى طوفان نوح. وفي سورة الشعراء «اني لكم رسول امين»
ولكن جاء في الشعر المنسوب الى النابغة الذبياني ذكر نوح وذكر امانته ايضا بقوله
فالفيت الامانة لم تخنها كذلك نوح لا يخون
وفي سورة الانفال «تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم» الآية
وقال ذو الاصبع

فان ترد عرض الدنيا بمنقصتي فان ذلك مما ليس يشجيني
والمنتظر من شعراء الجاهلية ان يكثر من ذكر معبوداتهم وألا يحلفوا إلا بها
ولكننا نرى انها اذا ذكرت في اشعارهم ذكرت بشيء من الامتهان كقول اعشى قيس
حلفت بالملح والرماد والعزى وباللات تسلم الحلقة
وذكر الاستاذ مرغوليوث ادلة غير هذه وافاض في وصف ما فعله الرواة من
منع الشعر وما جاهر به النقد من ان اكثر الشعر المنسوب الى عرب الجاهلية مصنوع
وامشهد بما قالوه في هذا الموضوع

هذا. ولنعد الى كتاب الاستاذ طه حسين فنقول ان ادلته منطقية جلية تحمل
فأثرها على التسليم بصحة نتيجتها او على الاعتراف بقوتها. وقد جرى فيه على اسلوب محكم
من البحث العلمي الصحيح الذي لا بد منه اذا اردنا الوصول الى الحقائق. والكتاب
مطبع طبعاً حسناً جداً في مطبعة دار الكتب المصرية

تقرير مصلحة الصحة لسنة ١٩٢٢

جاءنا تقرير مصلحة الصحة لسنة ١٩٢٢ ويقال فيه انه طبع في المطبعة الاميرية سنة
١٩٢١ ولا ندرى لماذا تأخرت المطبعة الاميرية في طبع هذا التقرير او لماذا تأخرت
مصلحة الصحة في اعداده وارساله اليها لطبع. وقد اقتطفنا منه الفوائد التالية
اولاً ان نسبة المواليد بلغت ٤٣٦٢ في الالف سنة ١٩٢٢ وكانت ٤٢٦٣ في الالف

سنة ١٩٢١ فالزيادة نحو واحد في الالف . ونسبة الوفيات بلغت ٢٥٦٢ في الالف سنة ١٩٢٢ وكانت ٢٥٦٣ في الالف سنة ١٩٢١ ولكن العبرة ليس في ذلك بل في زيادة المواليد على الوفيات وهي ١٨ في الالف او واحد وثمانية اعشار في المائة وهذه زيادة نادرة جداً في المسكونة فقد كانت زيادة المواليد على الوفيات في انكلترا سنة ١٩٢٢ نحو ثمانية في الالف وفي فرنسا اقل من ستة في الالف وفي ايطاليا نحو ١٢ في الالف . فاذا استمرت زيادة السكان في القطر المصري على هذا المعدل وكان عددهم الآن ١٤ مليوناً بلغوا في عشرين سنة عشرين مليوناً

في الالف	في مديرية المنوفية	١٨٦٧	في الالف	١٧	والزيادة في القاهرة
» »	» »	١٨٦٤	» »	٢٢٦٥	وفي الاسكندرية
» »	» »	١٤٦٨	» »	٢١٦٥	وفي الاسماعيليه
» »	في اسيوط	١٧٦٩	» »	٢٦٦٦	وفي بورسعيد
» »	» اسوان	١٦٦٢	» »	٢٦	وفي دمياط
» »	بني سويف	٢٢٦	» »	١٥٦٨	وفي السويس
» »	الفيوم	١٩٦٣	» »	٢٦٦١	وفي الصحراء الشرقية
» »	جرجا	١٧٦٧	» »	٦٩٦٨	» » الغربية
» »	الجيزة	٢٢٦٨	» »	٥٠	» » سيناء
» »	المنيا	١٦٦٦	» »	١٤٦٤	في مديرية البحيرة
» »	قنا	١٧٦	» »	٢٠٦٧	» » الدقهلية
» »	ومتوسط القطر كله	١٨	» »	١٦٦٧	» » الغربية

ومما يفيد الوقوف عليه في هذا التقرير الاختلاف الكبير في وفيات الاطفال الذين عمرهم اقل من سنة بمدن القطر فان اقلها ٢٨٦٥ في الالف في طنطا واكثرها ٤٢٦٤ في الالف في المنيا . وفي اختلاف نسبة الوفيات من الاطفال ومن السكان كلهم باختلاف المدن والمديريات مجال للنظر ليعلم أهو من قلة الاطباء ام من نقص التعليم ام فساد الهواء ام ازدحام السكان . هذه مسألة يحسن بالباحثين في الاماكن التي تكثر فيها الوفيات ان يبحثوا عن اسبابها لتزال . والتقرير كبير مسهب وسنعود الى بعض فصوله ونستخرج منه ما يمكن استخراجه من العبر

الشوقيات

لقد رجونا مع غيرنا من أبناء العربية ان يُنشر ما جادت به قريحة امير الشعراء في كتاب واحد . فحقق الرجاء وصدر الجزء الاول من هذه النفائس وعليها شرح يفسر ما حسب الناشر غامضاً من الفاظها ويبين ما اشارت اليه من المهام . وقد خدمها البجأة المحقق الدكتور محمد حسين هيكل بمقدمة لم تبق لمقرّظ ما يقوله لانها احاطت بكل ما في الديوان من المعاني وما اكثرها . فان شوقي بك واسع الروية واسع الخيال افادت المعاني الى قرينه من تدين وتاريخ وسياسة وحماسة وفلسفة وزهد ووصف ومدح وغزل ونسب . ففي كل قصيدة من قصائده معان مبتكرة وقضايا اثبتتها الاخبار واخبار حقيقتها الايام وحكم جرت مجرى الامثال كأنه احاط بما في الكون ماضيه وحاضره . روية واسعة ومبدأ فياض . ما كذلك عهدنا شعراء العربية في التوسع والاستقصاء حتى اننا لما قابلنا شعر المعري بشعر ملث من اربعين سنة (مقتطف مايو سنة ١٨٨٦) انتهت بنا المقابلة الى ان قصائد ابي العلاء كادواح قائمة بنفسها مستقلة بفرسها . واما قصائد ملث فكالمدن الكبيرة والبحار الواسعة والمكاتب الجامعة الى آخر ما ذكرناه هنالك . ولم يزل هذا رأينا في التباين بين الشعر العربي والشعر الافرنجي او بين الشعر السامي والشعر الاربي الى ان صدر هذا الجزء من الشوقيات مصدراً بالهمزية التي قالها شوقي بك في المؤتمر الشرقي بجنيها سنة ١٨٩٤ وصفاً لكبار الحوادث التي حدثت في وادي النيل فاذا هي من نوع الشعر الذي امتاز به الاربيون . حوادث تاريخية من عصر عميس الى عصر الخديوي توفيق سردها والبسها من البيان حلاً سابعة وجارى بها المؤرخين من مدح وذم حسبما كان معروفاً واعتذر عن تعبد الاولين لغير الخالق بان عقولهم كانت في صباها الى ان جاء موسى وولد عيسى واجاد في وصف عيسى فقال

وُلدَ الرفقُ يومَ مولدِ عيسى والمروءاتُ والهدي والحياء
وازدهى الكون بالوليدِ وضأت بسنّاهُ من الثرى الأرجاء
وسرتْ آيةُ المسيح كما به سرى من الفجر في الوجود الضياء
تملأ الأرض والعوالم نوراً فالثرى ما تُج بها وضاء
لا وعيدٌ ، لا صولة ، لا انتقام لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء
ملكٌ جاور التراب فلما ملّ ثابت عن التراب السماء

وأطاعنه في الإله شيوخ خُشَع خُضَع له ضَعْفَاءُ
أَذَعْنَ الناسَ والملوكَ إلى ما رسموا والعقول والعقلاء

والتدين جزء كبير من شعر شوقي على خلاف ما عليه كثيرون من نوابغ الشعراء
كالمثنبي والمعري وإن كان قد خص السيد المسيح بآيات هنا وهناك فقد عقد للنبى محمد
قصائد غراء حتى لقبه الدكتور هيكل بك شاعر الاسلام وعندنا انه شاعر الشرق والغرب
شاعر الغرب في وصف ما حازه من الرقي المادي والادبي اغراء لابناء الشرق به .
وشاعر الشرق لانه بسط تاريخه ونشر آدابه واشاد بمفاخره ولا سيما بمفاخر الاتراك
وفعالهم في حروبهم فترى قصائده فيهم تبت الحماسة في النفوس كأنه نبوليون يخطب
في جنوده او هوميروس يصف ابطل بلاده . هاك بائيتة التي وصف بها الوقائع العثمانية
اليونانية لا نظن ان احداً قرأ ما قاله عن القائد الباسل الحاج عبد الازل وفرسه الأ
كرّر تلاوته مراراً بطرب وحماسة . واي كلام اوقع في النفوس من قوله بلسان عبد
الازل وقد قيل له ليترجل عن جواده لانه عطب فقال

ذروني وشأني والوغي لا مبالياً إلى الموت امشي ام إلى الموت اركب

ثم استطرد إلى الحكم والعبر وجوامع الحكم فقال

وما شهداء الحرب الأعمادها وإن شيد الأحياء فيها وطنبوا

مداد سجل النصر فيها دماؤهم وبالتبر من غالي ثراهم يترّب

وهو يرقب الاتراك بعين الصديق الودود او العاشق الوهان يبتهج بفوزهم فيشيد
بذكهم ويحلهم اسمى محل في الخافقين واذا حسب انهم اخطأوا لج في العتاب بل في النوح
والرناء وهو في ذلك لجوج ككل محب لا ينتظر العاقبة بل يتولاه الحاضر فيرهقه كما
تري في حائتيه في خلافة الاسلام حيث قال

ان الذين است جراحك حربهم قتلتك سلمهمو بغير جراح

هتكوا بايديهم ملاءة نخرهم موشية بمواهب الفتاح

ثم احسن التعليل عن ملامته واستطرد إلى الوعظ والحكم فقال

استغفر الاخلاق لست بجاحد من كنت ادفع دونه والاخي

مالي اطوقه الملام وطالما قلده المأثور من امداحي

هو ركن مملكة وحائط دولة وقربع شهباء وكبس نظاح

أقول من احيا الجماعة لمجد واقول من رد الحقوق اباحي

الحق اولى من وليك حرمة واحق منك بنصرة وكفاح-
فامدج على الحق الرجال ولهمو او خلّ عنك مواقف النصّاح-
وعسى ان يرى بعد هذه الملامة ما يستوجب المدح فيمدح كما رأى بعد عبد الحميد
ما يستوجب اللوم فلام . ومما يجري هذا المجرى القصيدة التي عنّف بها رياض باشا سنة
١٩٠٤ ومطلعها

كبير السابقين من الكرام- برغمي انت انالك باللام-
مقامك فوق ما زعموا ولكن رأيت الحق فوقك في المقام-
احبتك البلاد طويل دهر وذا ثمن الولاء والاحترام-
خفرت لها زماما كنت فيه لعوبا بالحكومة والذمام-
لكن نفسه الزكية وادبه الجهم ايبا عليه ان يبق في نفسه ضغينة فقال بعد سبع سنوات
في رثائه (سنة ١٩١١)

مات في المواقب ام حياة ونعش في المناكب ام عظام
وخطبك يا رياض ام الدواهي على انواعها والنازلات
يجل الخطب في رجل جليل وتكبر في الكبير النائبات
اجل خملت على النعش المعالي ووسدت التراب المكرمات
ابالوطن الاسيف بكتك مصر كما بكت الالب الكهف البنات
قضيت لها الحقوق قتي وكهلا ويوم كبرت وانجنت القناة
فكنت على حكومتها سراجا اذا بسطت دجاها المشكلات
نسوس الامر لا يعطى نفاذا عليك الآمرون ولا النهاة
صفات بلغتك ذرى المعالي كذلك ترفع الرجل الصفات
ثم اعنذر اعنذار كريم عمّا آخذ به فقال

اخذتك في الحياة على هنات واي الناس ليس له هنات
والمرناة طويلة ملأت اربع صفحات من المقتطف وكلها غرور ودرر ومواعظ وحكم
رس على التيقظ والحيلة واخذ بالامور بالحزم
وقد لام لورد كرومر باشا لو عرف من امره ما نعرف وما
كان يمتناه مصر لا عنذر عن لومه ورثاه احسن رثاء على ما نرجح
وهو شديد الشعور قوي البدهاة معرض للتأثر بالمؤثرات فلا يستطيع التريث اذ ارأى

ما يضرامته ووطنه بل يندفع اندفاع السيل. ولولا ذلك ما كان شوقي بالشاعر الذي نعرفه هذا اما شاعرية شوقي فقد اجمع الخافقان على انها في الاوج الاعلى فلا يستطيع وصفها الا شاعر بدانيه. فنقف عند هذا الحد ونود ان يتمتع كل اديب ومتأدب بهذا الديوان. وحبذا لورثب قصائده حسب تواريخها لانها تاريخ لوطنه كما هي تاريخ الافكاره وآرائه

الموازنة بين الشعراء

وفيه ابحاث في اصول النقد واسرار البيان. للدكتور زكي مبارك
الذين قرأوا هذه الفصول وهي تنشر في المقطم كما قرأناها رأوا فيها نوعاً من النقد لا يستطيعه الا من كان مثل المؤلف شاعراً واسع الرواية دقيق الملاحظة. وودوا ان تطبع في كتاب على حدة لكي يسهل درسها والرجوع اليها فان فيها من الاحكام العقلية الدقيقة ما يستولي على العقل وتطرب له النفس ومن تحليل الشعر ما يري القاري شوقاً لم يكن يراها فيه. وقد قال المؤلف ان الادباء كانوا في مختلف العصور يهتمون بالموازنة بين من ينبغون من الشعراء في عصر واحد فوازنوا بين امرئ القيس والتابعة وزهير والاعشى في الجاهلية وبين جرير والفرزدق والاخلط في الدولة الاموية. وبين ابي نواس ومسلم بن الوليد وابي العتاهية. وبين ابن المعتز وابن الرومي. وبين ابي تمام والبحتري في الدولة العباسية. وقد اطلعنا على بعض هذه الموازنات فلم نر فيها ما تفيد مطالعته وترتاح النفس اليه كما رأينا في هذه الفصول كأن الاقدمين من اصحاب الموازنة لم يتصفوا بالاوصاف التي ذكرها المؤلف واشترط ان تكون في من يتصدر للموازنة بين الشعراء وهي «ان يصل الى درجة عليا من فهم الادب وان يصبح وله في النقد حاسة فنية تصرفه عند الحكم عن كل ما يفسده من الاهواء والاغراض». ثم فصل مراده بهذه الصفات تفصيلاً يحسب من ابواب الفلسفة العقلية كتفصيله الحاسة الفنية. وبعد ان اسهب في حقيقة النقد وشروطه وما يراد بالشعر والصور الشعرية واخلاؤها واختلف المعاني والاغراض والتمثيل على ذلك كله من اشعار العرب انتقل الى الموازنة بين بعض الشعراء الاقدمين والمحدثين فذكر اولاً الحصري صاحب «يا ليل الصب متى غده» وشاعرنا شوقي صاحب «مضناك جفاه مرقده» التي عارض بها قصيدة «يا ليل الصب» بعد ان عرفنا من هو الحصري. ثم وازن بين البحتري وشوقي بعد ان اسهب

ليزجة البحري وبيئته وفي وصف شوقي ايضاً وأبد وصفه بوصف الاستاذ خليل مطران
لأنه ربط وصف كل منهما بشعره الى ان وصل الى سينية البحري وسينية شوقي فجعلهما
محوراً للموازنة. وانتقل الى الموازنة بين شوقي والبوصيري وكاد يحصر الموازنة بين البردة
وبين ميمية شوقي وفضل ميمية شوقي من كل وجه ولكن هل تشتهر اشتهار البردة؟

وبلي ذلك فصل في الموازنة بين ابي نواس وابن دراج فيه نقحة من الادب
الاندلسي وبها ختم الكتاب. ولا نظن ان اديباً من ابناء العربية يرضى ان لا يكون هذا
الكتاب بين كتبه وفي ايادي اولاده وهو ٢٥٨ صفحة بقطع المقتطف وثمنه ١٥ غرشاً

مذكرة الجيب الهندسية

لواضعها ابراهيم افندي زكي المهندس

فرطنا هذه المذكرة حينما ظهرت في طبعتها الاولى في مقتطف ابريل سنة ١٩٠٤
وقلنا «لوم تكن فائدة هذا الكتاب محصورة في المهندسين لقلنا انه افيد كتب الشهر
لانه لم يصل الى يدنا هذا الشهر كتاب يوازيه فائدة ولا رأينا منذ زمن طويل كتاباً
نحب مؤلفه في جمعه وطبعه تعب مؤلف هذا الكتاب» والآن قد طبع طبعة ثالثة
بحرف واضح

الدروس الزراعية

بسرنا ما نراه من الاهتمام بالزراعة في ربوع الشام وتأليف الكتب القيمة فيها
لان ثروة البلاد ومعيشة اهله متوقفتان على الزراعة خاصة. وربوع الشام صالحة لكل
انواع المزروعات لانها جامعة بين الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة من ساحل بحر الروم
وغور الاردن الى جرود لبنان

الكتاب الذي امامنا الآن الفه السيد وصفي زكريا مدير المدارس الزراعية السابق
في سورية وفلسطين وقد جمع فيه خلاصة النظريات الفنية في علم النبات والكيمياء الزراعية
والظواهر الجوية والزراعة العامة والخاصة والصناعات الزراعية كتربية دود الحرير
والنحل والمواشي والاقتصاد الزراعي وقد اوضحه بكثير من الصور. وعسى ان يضاف
الى كل مدرسة من المدارس التي تعلم علم الزراعة حقل واسع يقرن التلامذة فيه العلم
بالعمل فاذا درسوا هذا الكتاب وعملوا بآيديهم في تطبيق قواعده فالغالب انهم
يعشقون الزراعة ومن ذلك اكبر فائدة لهم ولبلادهم

بَابُ الْمَسَائِلِ

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسأله باسمه والقباه وعمل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا وبين حروفا تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر اخر تكون قد اهلته لسبب كاف

(١) قوة البصر والسن

(٢) اسباب طول العمر

باربرتن او هيو باميركا . الخواجه جرجس طنوس . سمعت ان من كان بصره قصيرا وهو شاب يبقى على حالته الى ان يبلغ من العمر اربعين سنة وحينئذ يبتدى بصره يطول بالتدريج الى السبعين فهل هذا صحيح

ج . ان من كان بصره قصيرا (ميوب) وهو شاب فغالبا ان بصره يطول متى فات سن الكهولة ولكن ابتداء طوله غير مقيد بسن الاربعين والغالب انه يكون بعد الخمسين او الستين . ولقصر البصر وطوله درجات كثيرة وفواعل عديدة يعسر حصرها فكانت هذه السطور كان بصره قصيرا ولم يبتدى يطول الا بعد ما ناهز الستين ولا يزال يقرأ الخط الدقيق من غير نظارات (عوينات) ويعرف رجالا اصغر منه سنا كانوا قصار البصر مثله وهم لا يستطيعون قراءة المقتطف الآن من غير نظارات محدبة تكبر الحروف

ومنه . هل لطول عمر الانسان وقصره علاقة بالوراثة من الوالدين او ان المعيشة والوقاية الاهمية الكبرى

ج . لكل هذه المذكورات شأن كبير في طول العمر وقصره . ولكن لا يعلم كم نصيب كل منها وانما يعلم مثلاً ان التدابير الصحية العمومية والاعتماد على الاطباء في معالجة الامراض وقلة التعرض للآفات كل ذلك زاد متوسط عمر الانسان من نحو ٢٠ سنة الى اكثر من خمسين سنة . مثال ذلك انه منذ اربعين سنة كان متوسط الوفيات السنوي في القاهرة نحو خمسين في الالف اي كان متوسط العمر نحو عشرين سنة فقط لكثرة وفيات الاطفال بنوع خاص . والآن صار متوسط الوفيات السنوي فيها نحو ٣٤ في الالف اي صار متوسط عمر الانسان نحو ٣٠ سنة . وكان متوسط الوفيات السنوي في الاسكندرية منذ اربعين سنة نحو خمسين في الالف فصار

زويلف . ما هي الماسونية وهل هي جمعية دينية او جمعية سياسية وما هي مبادئها ومقاصدها

ج. هي جمعية تعاون لا تتعرض للدين ولا للسياسة ولذلك ينتظم فيها الناس من كل الاديان فيبقى كل منهم في دينه كأنه لم ينتظم فيها فترى بين اعضاءها الربانين والقسوس والمشايخ كما ترى العلماء والتجار والمؤلفين . ولا تتعرض للسياسة فترى بين اعضاءها اكثر الملوك والوزراء من كل البلدان . وغايتها التعاون على ما يفيد اعضاءها ويفيد سائر بني الانسان والحث على مكارم الاخلاق فاذا وقع احد اعضاءها في ضيق وابدى اشارة ورأها احد من اعضاء الجمعية الماسونية بادر الى معونته . وهي تهتم باختيار اعضاءها من فضلاء الانام وتبقي اشاراتها سرية حتى لا يستعملها اناس لاخلق لهم فيفسدوا عليها عملها . ولما كانت اكثر اعضاءها من المتعلمين المتهذبين الذين لا يتسلط عليهم التدجيل شأنها بعض المتجربين به وبعض رجال الاديان الذين توهموا انها مضادة لدينهم . هذا وغني عن البيان ان الماسون غير معصومين في انتقاء الاعضاء ولكنهم يبذلون جهدهم لكي لا يُخدعوا ولا الماسونية تكفل تغيير الاخلاق الفطرية ولكنها تسعى الى ذلك جهدها بالبحث والمعاشرة

الآن ٢٧ في الالف اي كان متوسط عمر الانسان فيها ٢٠ سنة فاصبح ٣٦ سنة . ولم يقع تغيير مهم في المدينتين الا في التدابير الصحية

(٣) العطش والغدة النخامية

فول رفر مستشوستس . الخواجه نجيب سوع . رجل عمره ٣٨ سنة صناعته دهان عمل اخيراً في دهان بيت من الخارج ووجد مشقة في ذلك ولم يشرب ماء النهار كله فعطش شديداً ومن ذلك الحين اخذ يطلب الماء بكثرة حتى بلغ ما يشربه في اليوم سبعة جالونات (٥٦ رطلاً مصرياً) ومع ذلك بقي شاعراً بالعطش . ورأه كثيرون من اطباء ولم ينل منهم نفعاً . وكل ما يشكو منه هو العطش وهو غير مصاب بالداء السكري فهل لكم ان ترشدونا الى علاج له ج . لم نر في كل ما لدينا من الكتب الطبية اشارة الى هذا العطش الا في داء السكر (الديابيطس) ولكننا رأينا منذ ايام قليلة في مجلة علمية ان حالة مثل هذه تحدث اذا وقع خلل في الغدة النخامية Pituitary gland على ما نتذكر فاستشيروا جراحاً ماهراً واذكروا له امر الغدة النخامية لعله يستطيع مداواة العلة واخبرونا بالنتيجة

(٤) حقيقة الماسونية

شطره بالعراق . احمد الحاج حسن

(٥) طبائع الافاعي والحواة

النطون بنسلفانيا بالولايات المتحدة .

الخواجه ليان ليوني قرأت ما كتبتموه عن

طبائع الافاعي الكبيرة في مقتطف مارس مجلد

٦٨ صفحة ٣٠٦ حيث قلتم انه « ليس في مقدرة

انسان سواه كان رجلاً او امرأة ما يمكنه

من التأثير في الافاعي فيجعلها تنقاد له صاغرة »

مع اننا نظرنا مراراً كثيرة بعض المشايخ

والمغاربة يجولون في انحاء سورية وبأمرون

اشتر الحيات بالخروج من تحت الردم ومن

داخل البيت فتنقاد اليهم صاغرة وتخرج

طائعة . وبعضهم يأمر الحية بالوقوف فتقف

امامهم لا تتحرك . فكيف يفعلون ذلك

ج . ان الذي رأيتوه رأه البعض

من اكبر علماء علم الحيوان وصدقه .

ورأيناه نحن في بيتنا وكان معنا

الدكتور شبلي شميل فاستدعينا حاوياً

فدخل مكتبتنا واستخرج افعى من تحت مائدة

فيها فقلنا له انها كانت في ثيابه وقد اوهمنا

بانه استخرجها من تحت المائدة فخلع ثيابه

كلها وهي وسخة قذرة واخرج افعى ثانية

من زاوية المكتبة وثالثة من زاوية اخرى

ففتحنا كتاباً كبيراً واوهمناه اننا نسحره

ونضره ان لم يخبرنا بحقيقة ما فعل لان

ليس في بيتنا افاعي وان اخبرنا بحقيقة ما

فعل فاننا نعطيه ريبالاً فشرح لنا كيف

فعل فان الافاعي الثلاث كانت في كيس

معه وكان قد خلع انيابها واستعملها لتضليل

الناس بها طلباً للرزق وانه لما وضع يده

تحت المائدة احتال بخفة واخرج احدى

الافاعي من كيسه واوهمنا انه اخرجها من

تحت المائدة ولما خلع ثيابه جمعها كلها

ووضعها على كتفه وكيس الافاعي فيها

ولما كان ينبغي ليخرج الافعى من زاوية

الغرفة كانت ثيابه تقع بالحنائه فيردها

الى كتفيه وفي الوقت نفسه يخرج افعى من

الكيس ويرينا كأنه اخرجها من زاوية

الغرفة . واعاد العمل امامنا بالتأني من اوله

الى آخره واخذ الريال وهو مسرور بالنجاة

من سحرنا . ومثل ذلك يفعل كل الحواة اما

وقوف الحية او وقوف رأسها بعنقه وجانب من

بدنها فتجدون تعليله بعد في السطر التالي لما

نقلتموه عن المقتطف حيث قلنا « والعامل

الوحيد الذي يمكن بعض الناس من التسلط

على الافاعي قائم في معاملتها بالحسن

وتعويدها ذلك » والافعى ليست اشترس

من الاسد ولكن الاسد يذل ويعلم حتى

يصير كالكلب . وقد رأينا رجلاً علماً

البراغيث ان تجر مركبات صغيرة

(٦) الروح ومذهب النشوء

دمشق . السيد فؤاد شباط قلتم في الجزء

الرابع من المجلد ١٦٨ صفحة ٤١٥ ان بعض

العلماء مثل ولسن ومكدوجل ودويتش لا

يسلمون بان الجزء الروحي في الانسان نشأ

من الحيوان كما نشأ جسمه فكيف يفسرون
إذا إضافة هذا الجزء الروحي الى جسم
الانسان
ج. يمكن تفسير ذلك بما قاله
السر اوليفر لدج في خطبة هكسلي التي القاها
حديثاً وهو ان مذهب النشوء لا يضاد
مذهب الخلق ولا يخالفه بل هو اسلوب من
اساليب الخلق وان الخالق الذي خلق المادة
الحية وضع فيها القدرة للنشوء المتدرج وهو
يضع الجزء الروحي في الانسان الذي هو
احد نتائج النشوء . وقد نترجم خطبته
او نلخصها في جزء تال

(٧) اول مستنبط للاتوموبيل

غرزوز بلبنان . اخواجه اميل وهبه
غازار . قرأنا في الجزء الرابع من المجلد
السادس والستين عن هنري فورد ومعامله
الشهيرة فهل هو اول مخترع للسيارة اي
الاتوموبيل التي تسير بالبخار والتي تسير
بالبنزين او من هو مخترعها الاول وفي اية
سنة كان ذلك

ج. في الاتوموبيل مات من الاجزاء
الغريبة وهي ليست من اختراع رجل واحد
ولا اخترعت في سنة واحدة ولا يزال
الاختراع مستمراً فيه . اما اول من صنع
مركبة تسير بالبخار فهو راتشرد ترفنك
وذلك سنة ١٨٠٢ واول من استعمل
البنزين او الجزء الخفيف من البترول فهو

(٨) تاريخ اليانصيب واساليبه
زنجبار . السيد راتب بن احمد بن
راشد . من اول من عمل اليانصيب ولماذا
ومتى كان ذلك وما صورة اخراج النمر
الرايحة من جملة آلاف

ج. اليانصيب او الاقتراع قديم جداً
فقد ذكر في المزمور الثاني والعشرين وكان
ذلك قبل المسيح باكثر من الف
سنة وابتداءً عند الرومان منذ عهد قديم
وكانوا يستعملونه في عيد زحل وفي الولاثم
للفكاهة فيلقون قرعة ينال فيها بعضهم شيئاً
ثمناً حسب قرعته وبعضهم شيئاً بخساً فقد
ينال الواحد كاساً من الذهب وينال الآخر
ذبابه . واستمر ذلك في الولاثم والمواسم الى
الآن . ثم استعملت بعض الدول الحديثة
اسلوب القرعة لجمع المال وجارها بعض
البنوك والجمعيات الخيرية . والمرجح الآن ان
ضرر هذا النوع من اليانصيب اكبر من نفعه .
والطريقة فيه ان تكتب الاعداد من واحد
الى اكبر عدد يدخل في القرعة على اوراق
كل عدد على ورقة ولنفرض انه يراد لقاء

قرعة بين عشرة آلاف على عشرة آلاف
نمرة فتكتب الاعداد من واحد الى عشرة
آلاف على عشرة آلاف ورقة صغيرة
مماثلة وتلف كل ورقة على حدة وتوضع
كلها في وعاء كالبرميل ويدار على محوره
حتى تختلط بعضها ببعض ثم يمد ولد يده من
باب صغير في البرميل ويخرج ورقة فيكون
الرج لصاحب العدد الذي فيها
(٩) الاسنان الصناعية

ومنه من المعلوم ان الاسنان الصناعية
تصنع من الذهب او الفضة او من معدن آخر
او من العظم فاي المعادن احسن واسلم
من غيره

ج . اذا كانت من المعدن فالذهب
افضلها والا فتصنع من مادة تشبه العظم
الصلب لا من العظم نفسه وهي حينئذ
مثل الاسنان الطبيعية من كل وجه
(١٠) لون الفجل

اسكلة طرابلس . الخواجه انطونيوس
مكربل . اذا غيّر الفجل لونه وصار ابيض
فماذا اصنع له حتى يرجع احمر كما كان
ج . ان كنتم تقصدون ان تقلعوا
الفجل الابيض وتصبغوه بلون احمر فصبغوه
كذلك سهل بمادة من نوع اللعل او بكل
صباغ احمر من نوع الاليزارين . واذا كنتم
تقصدون ان تزرعوا بزر الفجل الابيض
وتريدون ان ينمو احمر فنظن ان ذلك

محتمل باذابة الاليزارين الاحمر في الماء
الذي تسقى به ارض الفجل واسهل منه زرع
بزر الفجل الاحمر فيتمونه فجل احمر . فالفجل
المصري ابيض ولكننا جلبنا بزر فجل احمر
من سورية وزرعناه هنا فنبت منه فجل
احمر ومن المحتمل انه اذا تكرّر زرعُه سنة
بعد سنة قل احمراره رويداً رويداً وصار
ابيض كالفجل المصري فاذا اريد ان يكون
احمر فلا امهل من جلب بزر جديد . ولا
تذكر ان احداً بحث عن المادة التي تجعل
الفجل احمر القشرة ولكن يحتمل انها شيء
من املاح الحديد والحديد قليل في تربة
القطر المصري

(١١) سبب الفطيط

الفيوم . مستفهم لماذا يغط بعض
الناس في نومهم
ج . لانهم يفتجون افواههم وهم نيام
اماً لانهم اعتادوا ذلك او لسبب حمى او
زكام او نحو بلبوس في الانف

ومنه . لي صديق يبلغ الخامسة والثلاثين
اعتاد ان ينام نوماً هادئاً خفيفاً توقظه اقل
حركة غير انه منذ ايام بدأ يغط في نومه
بصوت مرتفع فهل لذلك علاج

ج . اذا نام الانسان وفيه مطبق ونفس
من انفه لم يسمع له غطيط فاذا كان الفطيط
حادثاً في صدقك فلا بد له من سبب مثل
الزكام او الحمى او نحو بلبوس في داخل انفه

يجعل التنفس منه صعباً فيضطر ان يفتح فاهُ
حيناً يتنفس وهو نائم. وتزع البلبوس سهل
بنعله الاطباء

(١٢) الفرق بين المغنطيسية والكهربائية
المنصورة. لبيب افندي مينا. ما الفرق
بين المغنطيسية والكهربائية

ج. هما من قبيل واحد والمظنون الآن
ان الكهرباء السلبية التي تدور حول نواة
الجوهر الفرد الايجابية في دوائرها الاهليجية
يجذب بعضها عن مداره فتقلب كهربائية
الجوهر من الموازنة الى الايجابية او السلبية
فان كان ذلك في الحديد او النكل وامثالها
ظهر بالصورة التي نسميها مغنطيسية وان
كان في الزجاج او الزاينج وامثالها ظهر
بالصورة التي نسميها كهربائية والحديد الممغنط
يجذب الحديد ولا يجذب القش مثلاً
والزجاج المكهرب يجذب القش ولا
يجذب الحديد ولكن الكهرباء تجعل الحديد
مغنطيسياً والمغنطيسية تتحول الى كهربائية

(١٣) شيوع القبعة

ومنهُ هل كان لبس القبعة خاصاً
بلدولة ما واذا كان كذلك فكيف عم جميع
اوربا واميركا ولماذا لم ينتشر في الشرق
كما انتشر في الغرب

ج. ان القبعة الشائعة الآن في اوربا
واميركا مأخوذة اصلاً من البقاسوس التي
كانت مستعملة في بلاد اليونان منذ اكثر

من الفين وخمسةائة سنة اذ قد جاء ذكرها
في اشعار هوميروس وهي غطاء للرأس له
بروز على دائره يظلل الوجه والعنق من الشمس
وقد تنوعت كثيراً على مر العصور والصينيون
والكوريون يلبسون على رؤوسهم شيئاً مثلها
ويظهر من بعض النقوش الاشورية ان
الاسرى الذين اسرهم اشور من فلسطين منذ
نحو ثلاثة آلاف سنة كانوا يلبسون البرانيط
والظاهر ان سكان البلاد الحارة كبلاد
العرب لا يكتفون بما يظلل الوجه والعنق
بل وضعوا على رؤوسهم العمامة التي نقي
الرأس من حر الشمس ثم استعملوا الكوفية
التي نقي الرأس والعنق والوجه والكتفين.
وما نراه الآن من اشكال برانيط الرجال
والنساء في اوربا حديث جداً سببه ان
الذين يصنعون هذه البرانيط ويتجرون بها
يغيرون اشكالها بين يوم وآخر اما الشرقيون
فالفوا الاحتفاظ بالقديم

(١٤) توليد الاحياء

كثُلند اوهايو باميركا . الخواجه
عبدالله جورج عبود بينما كنت اطالع عدداً
من جريدة تصدر في هذه المدينة استلقت
نظري كلام عن رجل اسمه مازورا قيل انه
صنع اجساماً حية وقد ارسلت اليكم القطعة
من تلك الجريدة التي فيها صورته وصورة
ما صنعه فهل تظنون ان دعواه صحيحة

ج. وصلت القطعة وفيها صورته

وصورة نوع من الاميبا التي يقال انه صنعها
 وصورة حلزونة (بزاقة) تسعى وهي يججمها
 الطبيعى يدعي انه خلقها . اما عمل اجسام
 تشبه الاميبا وهي ابسط انواع الاحياء
 فمحتمل فان البعض صنعوا اجساما مثلها
 ولكنها لا تولد غيرها كالاميبا الطبيعية .
 واما عمل حلزونة تسعى كالحلزون الطبيعى الحي
 فينقضه كل ما هو معروف علميا حتى الآن

باب الاخبار العلمية

مقتطف ما يو

افتتحنا مقتطف هذا الشهر بمقالة علمية
 بسيطة التناول بسطنا فيها اشهر الآراء في
 تعليل فلسفة الشم وفيها صورتان صورة
 خلايا الشم واخرى لباطن الانف وفي اعلاه
 هذه الاخلايا

وبلي ذلك مقالة مسببة عنوانها الصحافة
 الشرقية في نصف قرن اي في عهد المقتطف
 لخليل بك ثابت وهو من اعرف الكتاب
 بهذا الموضوع لانه عالج الصحافة في جميع
 مناحيها منذ اول القرن العشرين

وبعد ما كلام على الشعرى والنجم التابع
 لها الذي ظهر ان كثافته نحو سبعة آلاف
 ضعف كثافة الحديد وحرارته نحو ٨٠٠٠
 درجة بميزان سنتغراد . وفيها صورة بقعة من
 السماء يظهر فيها هذا النجم وغيره
 ثم كلام على الحيوانات اللبونة واقدم

آثارها التي وجدت في صحراء غوبي بمغوليا
 وجدتها البعثة الاميركية التي كانت تبحث
 عن بيوض الدينوسورس . وقد نشرنا صورة
 هيكل حيوان لبون متحجرو صور بعض بيوض
 الدينوسورس المتحجرة التي عثر عليها هناك
 ثم ثمة الكلام على « الحرب الكبرى
 ومن المسئول عنها » وفيها خلاصة المكاتبات
 والمحادثات التي دارت بين ملتي وكنراد
 رئيسي اركان الحرب في المانيا والنمسا
 فالجانب الاخير من « اسلوب المؤرخين
 العرب في كتابة التاريخ » للاديب المحقق
 انيس افندي زكريا النصولي مدرس التاريخ
 في دار العلوم ببغداد

ويليه كلام على نهوض رضا خان شاه
 ايران والاعمال العظيمة التي عملها لما كان في
 الجيش وبعدها نقتلد راسة الوزارة قبل
 اختياره لاعتلاء العرش
 ثم ثمة قصة « الشيخ مرعي صبيح » وهي

الكيمائي العربي المشهور ووصف مؤلفاته
ونسختها الاصلية والمترجمة واما كن وجودها
لاسماعيل بك مظهر

ثم كلام على الطيران التجاري في اوربا
يظهر منه ان اكبر مدن اوربا متصل بعضها
ببعض بخطوط هوائية منتظمة العمل .
والمقالة لنجيب افندي نصار احد المدرسين
في جامعة بيروت الاميركية نقلاً عن
الانكليزية

وابواب المقتطف كعادتها حافلة بالمقالات
والشدور . نلفت النظر الى باب التقريظ
والانتقاد منها ففيه كلام مسهب على
« الشوقيات » وهي الجزء الاول من ديوان
احمد شوقي بك الذي ظهر حديثاً . وبحث
في الشعر الجاهلي على ذكر كتاب الدكتور
طه حسين استاذ الاداب العربية في الجامعة
المصرية . وفي باب تدبير المنزل مقالة لطبيب
اميركي مشهور عنوانها « اركان السعادة »

اوجه القمر في شهر مايو

يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٥	٥	١٣ صباحاً
الهلل	١٢	٠	٥٥ »
الربع الاول	١٩	٧	٤٨ »
البدر	٢٧	١	٤٩ مساءً
الحضيض	٧	٧	٤٢ صباحاً
الاوج	٩	٧	٤٨ مساءً

القصة المصرية التي انشأها الاستاذ محمد
لطفى جمعه المحامي

وبعدها كلام على قيمة البحث العلمي
وهل تجب مكافأة العلماء وما هو السبيل
الى ذلك

وبليه فصل من كتاب حاضر العالم
الاسلامي الذي وضعه الدكتور ستدر
الاميركي وترجمه الاديب عجاج نويهض .
وهذا الفصل يدور على اثر التعليم الغربي في
البلدان الشرقية وفيه صورة المستشرق
ثمبيريه

ثم ترجمة الخطبة التهذيبية البليغة التي
خطبها اللورد لويد المندوب السامي في كلية
فكتوريا بالاسكندرية

وبعدها بيان باشهر الهبات الاميركية
واسماء اصحابها والاغراض التي وهبت لها
ثبتت منه ان قيمة الهبات الاميركية بلغ
نحو ٥٠٠ مليون جنيه ينفق ربعها في مختلف
الاغراض العمرانية

ثم بحث علي جديد في مميزات الدم
وتقسيم لشعوب الارض حسب هذه المميزات
وفيه خريطة يظهر فيها تفرق الشعوب حسب
هذه المميزات

وبليه مقالة للدكتور احمد ضيف في
النثر المصري في القرن التاسع عشر والصفات
التي ائصف بها واسماء اشهر الكتاب
وبعده بحث ممتع في سيرة جابر بن حيان

السيارات في مايو

عطارد . كوكب صباح في اول الشهر
ثم لا يشاهد في آخره
الزهرة . كوكب صباح
المريخ . يشرق الساعة الواحدة
والنصف صباحاً
المشتري . يشرق نحو الساعة الواحدة صباحاً
زحل . يشاهد اثناء الليل

استاذ العربية في جامعة كمبردج

يتذكر قراء المقتطف اسم الدكتور
نكلصن مؤلف تاريخ الآداب العربية وقد
الفه وهو استاذ اللغة الفارسية في كلية
لندن الجامعة وكنا نحسب من مطالعة كتابه
انه لا يحسن العربية لاننا لم نراه نظم ما
فيه من الاشعار عن اصلها العربي ولكن
يظهر الآن انه من اساتذة العربية اذ قد
اخير استاذاً لها في جامعة كمبردج
واستاذية اللغة العربية في كمبردج
قديمة جداً يظهر مما جاء في مجلة
الدسكفري عنها انها انشئت سنة ١٥٤٠
اي منذ ٣٨٦ سنة . وكان الغرض من
انشائها على ما يظهر من كتاب أرسل الى
السر توماس ادمس سنة ١٦٣٢ ترقية
الآداب السامية بالاطلاع على المعارف التي
كانت لا تزال محفوظة في خزانة اللغة

العربية وخدمة الملك والبلاد بالمناجزة مع
الامم الشرقية . والاستاذ نكلصن شاعر
مجيد باللغة الانكليزية كما يظهر من ترجمته
لكثير من الاشعار في كتابه تاريخ الآداب
العربية وعسى ان يرى كتاب الاستاذ طه
حسين في الشعر الجاملي ويعيد طبع كتابه
في تاريخ الآداب العربية بعد ان يتوسع
فيه ويطبع الاشعار التي ترجمها بمجرى
العربي مع الترجمة كما فعل الاستاذ كارليل
J. D. Carlyle قبله في كتابه المطبوع
سنة ١٧٩٦ مع ان الاستاذ كارليل تصرف
في الترجمة حتى ابعدها عن الاصل العربي
بعداً شاسعاً كأنه كان لا يعرف العربية

الصحة والآثار في الهند

يعلم قراء المقتطف انه كشفت حديثاً
آثار قديمة جداً في بلاد الهند يستدل منها
على الاتصال بين الهند والعراق قبل التاريخ
المسيحي بالنفي سنة او ثلاثة آلاف سنة. فلما
وضعت ميزانية الحكومة للسنة المقبلة وُضع
فيها مبلغ ٣٧٥ الف جنيه للنقب عن الآثار
القديمة فاعترض الهنود على ذلك وطلبوا ان
ينفق هذا المال على التدابير الصحية لانها
اهم من كشف الآثار القديمة . ونقل مجلة
ناشر ان الانكليز من غير رجال الحكومة
واقفهم على ذلك ولكنها اسفرت لحرمان
الباحثين عن الآثار من هذا المال. ولا ندري

ان الاستاذ نكاهاشي الياباني تمكن من استخلاص فيتامين ا من زيت كبدة الحوت. وقد جاء الآن في مجلة ناتشر ان الاستاذ نكاهاشي ومساعديه نكاميا وكواكامي وكتاساتو استخرجوا فيتامين ا وفيتامين د تقيين من زيت كبدة الحوت (زيت السمك) ومن الاوراق الخضراء وبحوثهما المعرفة خواصهما الكيماوية فوجدوا المستخرج من زيت السمك يختلف قليلاً عن المستخرج من الاوراق الخضراء

وقد تمكن نكاهاشي ومساعدوه من معرفة التركيب الكيماوي للفيتامين المستخلص من زيت السمك والمستخلص من الاوراق الخضراء فاذا عابرة الاول كـ $C_{27}H_{44}$ اي جزء ٢٧ من الكربون و ٤٤ من الهيدروجين وجزء ٢٧ من الاكسجين. وعبارة الثاني كـ $C_{27}H_{46}$ اي فيها يشبان الخولسترول Cholesterol اي المادة الشبيهة بالدهن الموجودة في الصفراء وحصة المرارة فان تركيبها الكيماوي كـ $C_{27}H_{46}$

جواهر الالماس الروسية

الظاهر ان جواهر الحكومة الروسية لا تزال محفوظة فقد جاء في مجلة ناتشر انها فحست حديثاً ونظر في تاريخها فثبت منه ما يأتي

اولاً ان الالماسة المسماة باسم الشاه اصلها

كيف يستحل رجال الحكومة ان ينفقوا مبلغاً طائلاً مثل هذا على عمل قد لا يستفيد منه هندي واحد ولا ينفقوه على مقاومة الامراض القتالة في سنة ١٩٢١ توفي بالكولرا في الهند الانكليزية ٤٥٠٦٠٨ وبالطاعون ٥٩٢٨٢ وبالحميات ٤٧٦١٢٣٧ وبالسعال والدسنتاريا ٢٢٩٥٧٦ وتوفي بالطاعون في الهند كلها من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٢١ اكثر من عشرة ملايين نفس اي نحو نصف مليون كل سنة

الفيتامين وعلماء اليابان

بعد ان ثبت وجود الفيتامين بانواعه الثلاثة اوب وج وعرف كثير من خواصها انجبت انظار العلماء الى استخلاصها نقيّة غير مرتبطة بغيرها. وفيما هم يبحثون عن ذلك كشفوا نوعاً رابعاً مضاداً لمرض الكساح اطلق عليه اسم الحرف د اي الحرف الرابع من حروف ابجد ونوعاً خامساً مضاداً للعقم اطلق عليه اسم الحرف هـ وعرف كثير من بناء هذه الانواع الكيماوي ولا سيما فيتامين ا وفيتامين د وقد ذكرنا في الصفحة ٣٥ من مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٤ ان ثلاثة من الاطباء في جامعة كولبيا باميركا تمكنوا من استخلاص فيتامين ب وفي الصفحة ٣٥٧ من ذلك الجزء

والاميركيين لا غير وتكون رآستها لغضو مصري وهي تستخدم من تشاء من رجال الفن الاوربيين وغيرهم حسبما تدعو طبيعة العمل. فان تعيينها على هذه الصفة يفي بالمراد ويسلم من التنافس ولا يمس استقلال مصر

تعليم البنات في السكليات

يبحث لجنة كلية بارنرد في جامعة كولمبيا باميركا فيما يجب ان يتعلمه البنات في المدارس الكلية فكتبت رئيسة الكلية رسالة في هذا الموضوع خلاصتها انه يجب تعليم كل البنات في المدارس الكلية لغتهم قراءة وكتابة حتى يتقننها جداً ولغة اخرى وعلم حفظ الصحة وعلم البيولوجيا المتعلق بالانسان. هذا ما يلزم ان يتعلمه البنات كلهن ثم يختار بين تعلم لغات اخرى وعلوم الادب والفنون او العلوم الرياضية والطبيعية او العلوم الاجتماعية

كلف الشمس والشفق القطبي

كان من نتيجة كلف الشمس ان ظهر الشفق القطبي في شمال اوربا على اسلوب بهيج كاد يشبه الشفق الذي ظهر سنة ١٨٧٢ لكن ذلك وصل الى سورية وكنا في صيداء فرأبنا ان كل ما ذكر في وصف الشفق القطبي في كتب الطبيعيات والاحداث الجوية ينقص عنه كثيراً في بهيجته ولا تزال صورته في الذهن كأننا

هندي وهي في شكل مثنى مستطيل عليها ثلاث كتابات منقوشة نقشاً الاولى تاريخها سنة ١٥٩١ والثانية سنة ١٦٦٥ حين رآها تفرنيه في قصر اورنج زب والثالثة سنة ١٧٣٩ حين وصلت الى نادرشاه فنقلت من دهلي الى ايران. وفي سنة ١٨٢٩ قتل وكيل روسيا السيامي في طهران فاسترضت حكومة ايران قيصر روسيا بهذه الالماسة

وثانياً ان الالماسة اورلوف وهي اكبر حجارة الالماس القديمة وقد رآها تفرنيه سنة ١٦٦٥ وصلت الى نادرشاه بعد ما تغلب على دهلي ورصع بها وبالالماسة قوي نور عرش ايران ثم سرقت وتداولتها الايدي الى سنة ١٧٧٣ حين اشتراها البرنس اورلوف واهداها الى الامبراطورة كاترينا الثانية ثم رُصع بها صولجان قياصرة الروس هبة ركفلر لمصر

اشرنا الى هذه الهبة في باب الاخبار العلمية في مقتطف مارس والظاهر انه لم يتم شيء من حيث قبولها حتى الآن. ويظهر لنا ان تعيين اللجنة التي تتولى ادارة العمل بهذه الهبة من انكليزيين وفرنسيين واميركيين ومصريين وتكون رآستها لاحد المصريين كما جاء في شروط الهبة ليس من الحكمة ولا هو مطابق لمصلحة مصر كدولة مستقلة. ولقد كان الاحكم ان يتألف اللجنة من المصريين

في مدارس المرسلين . وسنة ١٩١٢ صارت البلاد جمهورية فاصلحت نظام التعليم وسارت به سيراً حثيثاً وتألفت نقابات في كل البلاد لمعاونتها واستدعت المساعدين من اوربا واميركا . والظاهر ان الصين عازمة ان تقتني خطوات اليابان ونتشبه باوربا واميركا . وتركيا جارية هذا المجرى وايران ايضاً

آثار العمران المصري

العادة الجارية الآن انه اذا اريد ان يبنى بناء عمومي كالمعابد والمتاحف والمدارس وضعت بعض الصحف والادوات في حجر زاويته . والظاهر ان هذه العادة قديمة استعملها المصريون الاقدمون منذ اكثر من ٣٥٠٠ سنة فقد وجد في زاوية هيكل الملكة هتشبست آنية فيها بعض الاثار كالتين والتمر والعنب . ووجد في قبر الملكة نفرو من الاسرة الحادية عشرة التي كانت منذ اربعة آلاف سنة قطع من نسيج الكتان لا تزال آثار الطي فيها

من السكاب الى القاهرة

يراد بالسكاب رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي من افريقية وكان من غرض الانكليز ان يصلوا بينها بسكة حديدية فلم يتم ولكن الاتومويل قام مقامها وقد قطع

رأبناؤه امس . ويقال الآن في تحليل الشفق القطبي ان كلف الشمس تشبه البراكين النائرة فتندفع منها مواد مكهربة تنتشر في الفضاء فيصل بعضها الى الارض ويسبب الشفق القطبي

عمر الارض

يحسب عمر الارض الآن ممّا فيها من المعادن التي تولدت من غيرها كالرصاص الثقل من عناصر مشعة فاذا عرفت نسبته الى الصخور التي هو فيها وعُرف مقدار ما تولد منه في السنة عرف عمر الارض من حين ابتداء تولده . وقد حُسب قبلاً ان عمر الارض يجب ان يكون بموجب ذلك ٣٣٠٠ مليون سنة لكن ظهر الآن ان الرصاص الذي في الصخور النارية قديم وقد يكون غير متولد من غيره وانه حسب عمر الارض من معادن اخرى فظهر ان عمرها ١٥٢٥ مليون سنة والغالب ان يحسب عمرها ١٦٠٠ مليون سنة

التعليم في الصين

كان التعليم في بلاد الصين جارياً على الاساليب القديمة فألغي سنة ١٩٠٢ وحل محله التعليم حسب الاساليب المتبعة في اوربا واميركا وللحال أنشئ مئتا ألف مدرسة يتعلم فيها سبعة ملايين من الصبيان والبنات وأخذ مدرسوها من الذين تعلموا

الماجور كورت توت هذه المسافة باونوموبيل
وصوّر ما رآه في طريقه من المناظر لعرضه
بالسنا وكان معه زوجته وثلاثة رجال
والمسافة التي قطعوها ١٣٠٠٠ ميل قطعوها
في ١٦ شهراً وقد طالت المدة التي قطعوها
فيها لكثرة ما لقوا من العوائق في طريقهم
من المطر ولان الانهار في طريقهم كانت
فائضة . ولما بلغوا النيل اضطروا ان يجرّوا
الاتوموبيل فيه جرّاً

اسماك لبنان المتحجرة

في كثير من صخور لبنان آثار اسماك
واضحة تمام الوضوح تدلّ على ان تلك
الصخور تولدت من طين رسب فوق الاسماك
فبليت وحفظت آثارها فيه . وكان الدكتور
لويس قد جمع كثيراً منها في معرض الجامعة
الاميركية لما كان يدرس علم الجيولوجيا
فيها . وقد قرأنا في مجلة ناتشر ان السراثر
سمت ودورد ذهب الى بيروت عازماً ان
يضع كتاباً في اسماك لبنان الباقية آثارها
في الصخور الطباشيرية

آثار اور

وجد بالبحث في انقاض هيكل الهة
القمر باور في العراق تمثال الالهة باو
جالسة وهي لابسة ثوباً مكشكشاً وهو اول
تمثال امرأة قديم وجد في العراق ووجد
ايضاً دائرة تمثل القمر من الالبستر . قدمتها

ابنة سرغون ملك اكّد الذي كان سنة
٢٧٥٠ قبل المسيح وهذا التمثال من اقدم
تماثيل السمرين التي وُجدت حتى الآن ولم
يكن فن النقش قد بلغ ما بلغه بعد نحو الف
سنة في عصر الدولة الثالثة من دول السمرين
كما يرى في رأس هذه الالهة الذي وجد
في اور وهو من الرخام الابيض وعيناه من
حجر ابيض ولا زورد وعلى رأسه كمة
كالبرنيطة

كتابة السياح على الآثار المصرية

قد يظن لاول وهلة ان كتابة السياح
اسماءهم على الآثار المصرية عادة حديثة
ولكن ثبت الآن انها قديمة جداً فاب
السياح الاقدمين وصلوا الى مدفن الملكة
نفرو المذكور آنفاً ونقشوا اسماءهم على حجارتها
بعد انشائها بنحو خمسمائة سنة وكان قد بني
فوق مدخله رواق هيكل الملكة هتشبست
ولكنهم تمكنوا من الوصول الى القبر لانه كان
هناك سرداب جانبي يوصل الى بابه

اليود ومرض الفواتر

ثبت الآن ان سبب مرض الفواتر
الذي يظهر بتضخم العنق قلة اليود في
الطعام . واليود قليل جداً في اكثر الاطعمة
البرية ففي الطن من القمح مليوناً واحداً
(المليون من الف جزء من الف جزء من الغرام)
ولكنه كثير في الاسماك فانه في بعضها

الببر الابيض

الببر المعروف بالنمر الهندي او الفهد الهندي من اكبر الضواري واشرسها واشدها فتكاً وهو اصفر مخطط بخطوط سوداء . وقد وجد ببر لون جلده ابيض بدل الاصفر فاهداه مهر جاري وكنت الى ملك الانكليز فأتي به الى لندن واهداه الملك الى بستان التاريخ الطبيعي

هبة برنس موناكو

ذكرنا في الصفحة ٤١٣ من المجلد ٦١ ان برنس موناكو ترك مليون فرنك لاكاديمية العلوم بباريس ليعطى ريعها كل سنتين وقد اعطى هذا الربيع الآن للدكتور شاركو فصار قادراً على زيادة الآلات العلمية في سفينته التي يستعملها في المباحث العلمية البحرية وهي المباحث التي كان برنس موناكو يعنى بها

حدائق ادونس

وجد الناقبون في آثار بيسان بفلسطين حوضاً مستديراً على دائره آنية مثقوبة من اسفلها والمظنون ان هذه الآنية والحوض تمثل ما يعرف بمديقة ادونس فان الآنية كانت لزراع بزور الازهار والرياحين بزراعها النساء ويعتنين بها ثمانية ايام ثم تطرح في نهر مع صورة ادونس

٢٦٠ مليغراماً في الطن وفي المحار فانه فيها ١١٦٠ مليغراماً في الطن واكثر منه جداً في النباتات البحرية فقد يبلغ ثلاثة ملايين مليغرام في الطن اي ثلاثة غرامات في الكيلوغرام ولذلك يكون الملح البحري غير المكرر انفع من الملح المكرر ويكون هذا المرض اقل في سكان السواحل البحرية منه في سكان البلاد البعيدة عن البحر

مكافحة الحشرات بالطيارات

استعملت مصلحة الحشرات في اميركا الطيارات لمكافحة حشرات القطن في العام الماضي فانها طارت فوق خمسين الف فدان واقت عليها مسحوفاً من زرينجات الكلس فكانت النتيجة على ما يرام . ويراد ان نتوسع في ذلك هذه السنة وفي صنع طيارات خاصة لمكافحة الحشرات

البنائون وصورهم

ان باني هيكل الملكة هتشبست لم يكتب اسمه في محل ظاهر ولكن قيم بيت الملكة امره ان يحفر صورته على الجدران التي نطفيها ابواب غرف الهيكل حينما تفتح فلا يراها احد تحفرها البناء كما أمر وحفر اسمه معها والظاهر ان البعض كشفوا ذلك فامرت الملكة او غيرها بمحو ما نقش فحيت هذه الصور والاسماء الا في اربعة اما كن

الجزء الخامس من المجلد الثامن والستين

صفحة	
٤٨١	حاسة الشم وفلسفتها (مصوِّرة)
٤٨٦	الصحافة الشرقية في خمسين سنة . تحليل بك ثابت
٤٩٢	غرائب الاجرام السماوية (مصوِّرة)
٤٩٥	الحيوانات اللبونة
٤٩٧	الحرب الكبرى ومن المسؤول عنها
٥٠٣	اسلوب المؤرخين العرب . لانيس افندي زكريا النصولي
٥٠٩	رضا خان شاه ايران
٥١١	الشيخ مرعي صبيح (قصة مصرية) . للاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي
٥١٨	البحث العلمي ومكافأة العلماء
٥٢١	حاضر العالم الاسلامي . للدكتور لوثر ستدر الاميركي (مصوِّرة)
٥٣٠	خطبة اللورد لويد المتدوب السامي
٥٣٤	كيف ينفقون اموالهم
٥٣٥	اجناس البشر (مصوِّرة)
٥٤٠	الادب المصري في القرن التاسع عشر . للدكتور احمد ضيف
٥٤٤	جاير بن حيان . لاسماعيل بك مظهر
٥٥٢	الطيران التجاري . لنجيب افندي نصار
٥٥٦	باب المراسلة والمناظرة * دروز حوران وابراهيم باشا ، حول اسلوب افكار العلمي . نابليون والماسونية
٥٦٤	باب تدبير المنزل * اركان السعادة . الجدي علاجه ومنعه . حفظ البرتقال
٥٧٢	باب الزراعة * جوائز المعرض الذهبية . خيول المعرض المصري . العروض الزراعية
٥٧٥	باب التقريض والانتقاد *
٥٨٦	باب المسائل د وفيه ١٤ مسألة
٥٩٢	باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٣ نبذة